جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي ـ
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

البعد الدعوي في أعمال الشيخ مصطفى السباعي من خلال كتابه " هذا هو الإسلام "

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية تخصص: دعوة وإعلام واتصال

إعـــــــداد الطـالب:
محمد الأمين قندوز

إشراف الأستاذ:
د.خالد حباسي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
علي خضرة	د/أستاذ محاضر"ب "	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	رئيسا
خالد حباسي	د/أستاذ محاضر"ب "	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مشرفا ومقررا
معمر قول	د/أستاذ محاضر" ب"	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	ممتحنا

الموسم الجامعي :(1437–1438هـ/2016/2017م)

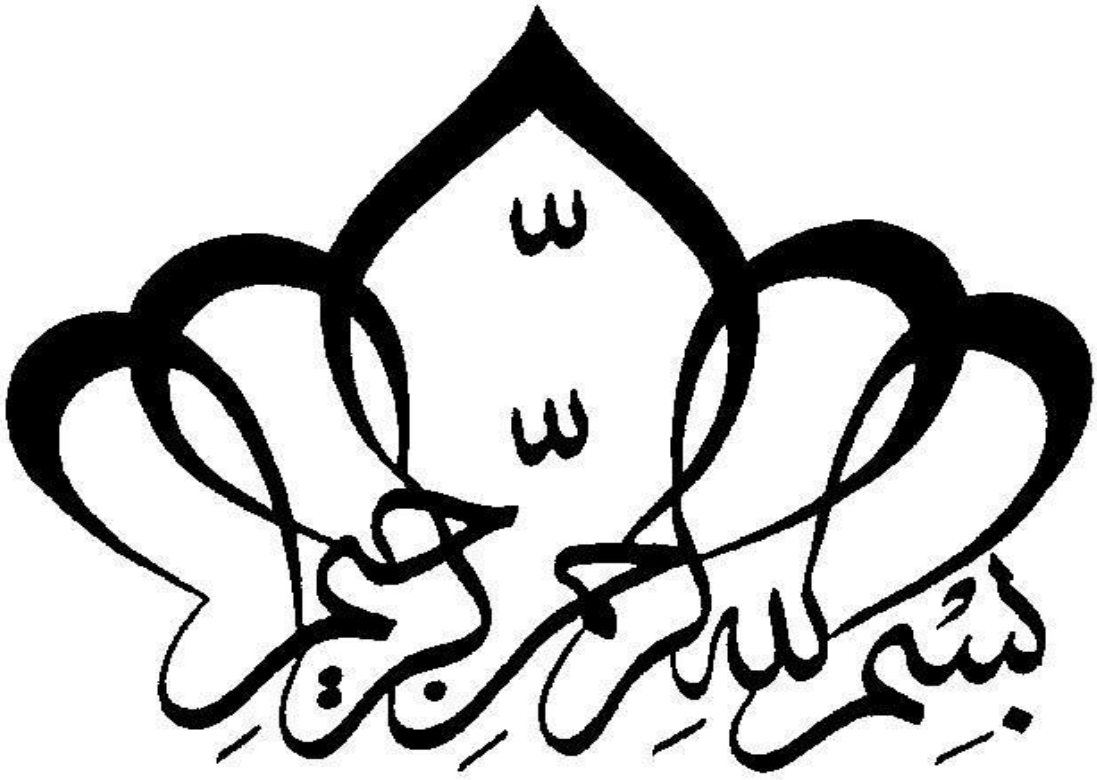

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ
وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾

[التوبة:105]

شكر وعرفان

"كن عالما .. فإن لم تستطع فكن متعلما ، فإن لم تستطع فأحب العلماء فإن لم تستطع فلا تبغضهم".

وقال رسول الله ﷺ:"من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه"... (رواه أبو داوود).

نحمد الله عز وجل الذي وهبنا التوفيق والسداد ومنحنا الرشد والثبات في إنجاز هذا البحث ونسأل الله القبول في الدنيا والآخرة.

في مثل هذه اللحظات يتوقف القلم ليفكر قبل أن يخط الحروف ويجمعها في كلمات ... تتبعثر الأحرف وعبثاً أن يحاول تجميعها في سطور سطور كثيرة تمر في الخيال ولا يبقى لنا في نهاية المطاف إلا قليلاً من الذكريات وصور تجمعنا برفاق كانوا إلى جانبنا

فواجب علينا شكرهم ووداعهم ، ونحن نخطو خطوتنا الأولى في غمار الحياة ونخص بجزيل الشكر والعرفان كل من أشعل شمعة في دروب عملنا وإلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا

الدكتور: "خالد حباسي"

على ما قدمه من جهد ونصح ومعرفة طيلة إنجاز هذا البحث.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أسهم في تقديم يد العون لانجاز هذا البحث

ونخص بالذكر الإخوة: "بونقاب جمال الدين" والأخ " هميسي محمد"

والأخت الفاضلة: "وردة لموشية".

أشكركم جميعكم على جهودكم معي.

إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك .. ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك .. ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك..

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة ونور العالمين ..

سيدنا محمدﷺ

إلى من يسعد قلبي بلقياها

إلى روضة الحب التي تنبت أزكى الأزهار

أمي

إلى رمز الرجولة والتضحية

إلى من دفعني إلى العلم وبه ازداد افتخاري

أبي

إلى من هم اقرب إليّ من روحي

إلى من شاركني حضن الأمومة ومنهم استمد عزتي وإصراري

إخوتي

الدعوة التي علمتني معنى الحياة

الطفلة التي عمرتُ بيتها من الحب والحجارة

المهرة الأصيلة التي طالما سبقت دنياها وزمانها

مدرسة الإتحاد العام الطلابي الحر

إلى أصدقائي الذين تسكن صورهم وأصواتهم أجمل اللحظات والأيام التي عشتها

إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت، وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة

سرت إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم.

إلى كل من يحمل راية الدعوة و الإصلاح

أهديكم ثمرة هذا الجهد المتواضع

ملخص

تتناول هذه الدارسة الأبعاد الدعوية التي تظهر من خلال أعمال الشيخ مصطفى السباعي الدعوية . وقد قسمتها إلى فصل تمهيدي تطرقت فيه إلى الإطار المنهجي للدراسة ومدخل مفاهيمي يوضح أبرز مصطلحين في عنوان الدارسة وهما: " البعد" و"الدعوة"؛ إضافة إلى فصلين رئيسيين شكلا مضمون الدراسة بشكل عام، فالأول تناولت فيه السيرة الذاتية للشيخ مصطفى السباعي وبعض ملامح حياته الدعوية من خلال الجهود التي قدمها، أما الفصل الثاني فقد عالجت في ثناياه الأبعاد الدعوية المختلفة التي ذكرها الشيخ في أبرز أعماله من خلال كتابه: " هذا هو الإسلام" .

لنختتم الدراسة بالنتائج المتوصل إليها في هذا البحث مع ذكر بعض التوصيات .

Summary:

This study highlighted the advocacy dimensions addressed by Sheikh Mustapha Sebai through his book ***'This is Islam'***. The study has been divided into an introductory chapter with regard to the methodological framework for the study and the conceptual terms highlighted in the title of the study and highlighted the chapters' content in General. The first chapter showed a biography of Sheikh Mustapha Sebaiand some features of his advocacy through the efforts he made, the second chapter has treated advocacy dimensions mentioned by Sheikh in his most important works ***'This is Islam'***.

At the end, we conclude the study by some of the findings of this research with some recommendations.

قائمة الرموز والإشارات المستخدمة

ج	الجزء
ص	الصفحة
ط	الطبعة
هـ	هجري
م	ميلادي
مج	مجلد
لا.ط	لا طبعة
لا.ن	لا ناشر
لا.م	لا مكان
د.ت	دون تاريخ
لا.م	لا مكان للنشر
﴿.....﴾	رمز مستخدم للآيات القرآنية
"...."	رمز مستخدم للاقتباس الحرفي
ج	الجزء

مقـــدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد:

إن الوقوف على التجارب و الخبرات والجهود البشرية ودراستها بتمعن وعمق، كفيلة ببناء أرضية نسير من خلالها قدماً وفق مناهج واضحة المعالم، وتساعدنا على أن نتفادى جل الأخطاء والهفوات التي يمكن الوقوع فيها .

والحضارات الإنسانية في أبعادها المختلفة وتوجهاتها، والحركات والمدارس الفكرية عموماً إنما نشأت وتنشأ عبر تظافر وتوالي الجهود فيها، فلا نجد حضارة قامت إلا وانطلقت من إنجازاتها التي سبقت عملية الاستيعاب لتأتي بعدها عملية الاستلهام، وصولاً إلى الإبداع والإنجاز .

وتعتبر الدعوة الإسلامية أكبر خزان لهذه التجارب والخبرات ولجهود، وعليه وجب الوقوف عندها طويلاً وبتمعن وفحص شديدين إذا أردنا أن نبرز الغاية والهدف منها في واقعنا اليوم، حتى نستطيع النهوض بالأمة إلى ركب الحضارة وإرجاعها إلى سابق عهدها .

واليقظة الإسلامية الحديثة، نجدها انبعثت ونشأت ونمت بواسطة الجهود المخلصة لفئات كثيرة من العلماء والدعاة والمفكرين والمصلحين والمجاهدين، تلك الجهود صارت بالنسبة لنا خبرات وتجارب ذات امتدادات متنوعة، مما يدعونا إلى ضرورة الوقوف عندها، ودراستها وتحليل معطياتها، ومن ثم بناء النتائج عليها، واستثمار كل ماهو إيجابي فيها، وتفعيله في واقع العمل الدعوي.

ولعل الشيخ مصطفى السباعي من أبرز رموز الحركة الإسلامية و الدعوية في مطلع القرن 20، فقد وضع على عاتقه هم الإسلام، وعمل على حمل لواء الدعوة والإصلاح في الحركة الإسلامية الحديثة فجد واجتهد في ذلك، ونجد أبرز هذه الجهود في رسائله التي تبحث عن فكرة الإسلام الحديث، والتي جمعت في كتابه هذا هو الإسلام، وقد تجاوز فيه الواقع الذي كان يعيش فيه، وسعى إلى تحقيق مهمة الاستخلاف الإنساني وبناء الحضارة، وعمل على نشر الدعوة على أسسها الصحيحة، بعدما لاحظ أن منهاج التضليل والضلال قد سادت جميع مناحي الحياة، وللتنقيب أكثر عن هذه التجربة

الدعوية الهامة جاءت مذكرتي تحت عنوان: { **البعد الدعوي في أعمال الشيخ مصطفى السباعي من خلال كتاب" هذا هو الإسلام"** }.

وقد وقفنا على طبعتين لهذا الكتاب وكانتا بإذن من ورثة المؤلف، وقد وقع اختياري على الطبعة الثانية، ماعدا رسالة واحدة اعتمدنا عليها في الطبعة الأولى والتي كانت بعنوان" منهجنا في الإصلاح"؛ أما فيما يخص الكتاب وعنوانه فيقول الكاتب زهير الشاويش أن الشيخ رحمه الله تخيره بنفسه في حياته، وأراد من هذا العنوان عرض الإسلام بما يوافق الزمن الحاضر من غير انتقاص لأساليب علمائنا السابقين أو مناهجهم في العمل،وغير خافٍ على أحد أنه لا يقصد في هذا العنوان حصر الإسلام فيما فهم وكما قدّم، وإنما يقدم ما فهمه هو عن الإسلام، ويبقى هذا في حدود الاجتهاد الذي أداه إليه جهده وعلمه وغيرته على الإسلام وأهله.

الفصل التمهيدي:

الفصل التمهيدي :

إشكالية الموضوع :

إن الجهود والأعمال التي رسمها المفكرون والدعاة والمصلحون في هذه الأمة هي عبارة عن خبرات يتوجب على كل من يرنو إلى الإصلاح وينشد التغيير أن يتدارسها ويقف عندها مليا، وهذا من أجل استلهام العبر واستكشاف مواطن الخلل وإدراك مضامين الدعوة الإسلامية لكي تكون أكثر فاعلية وقد تأخذ هذه الأفكار والأعمال أبعادا مختلفة لتكون شاملة لجميع مناحي الحياة وأن لا تتوقف على أعمال محدودة وخاصة .

من خلال تناولنا لمسيرة الشيخ مصطفى السباعي الدعوية، ولتوضيح معالم بحثنا ننطلق من الإشكالية التالية: "ماهي الأبعاد الدعوية التي ركز عليها الشيخ مصطفى السباعي في أعماله ؟ ولضبط الموضوع أكثر فقد اخترنا أحد أعماله وهو كتاب "هذا هو الإسلام" .

وقد ندرج تحت هذه الإشكالية العامة مجموعة من التساؤلات والتي توضح لنا معالم هذا البحث وهذه التساؤلات هي:

من هو الشيخ مصطفى السباعي؟ ماهي مسيرة حياته؟ ماهي أهم الجهود والأفكار الدعوية التي أسسها ؟ وما أهم المنطلقات والأسس التي انطلق من خلالها في دعوته؟ ما هي الأبعاد التي تطرق إليها في دعوته ؟ هل وفق في تشعبه الكبير من خلال تطرقه لأبعاد كثيرة ..؟ وإلى أي مدى يمكن أن نستفيد من تجربة الشيخ مصطفى السباعي الدعوية في وقتنا الحالي في ظل التطورات المعاصرة على الساحة الإسلامية و العالمية ..؟

هذه الأسئلة بمجموعها وما قد يتفرع عنها من جزئيات تمثل إشكالية البحث العامة، وتشكل في الآن نفسه محاور المشروع الذي آمل أن أوفق في إنجازه .

أهمية الموضوع :

في حديثنا عن الشخصية الدعوية والإسهامات التي بذلها في سبيل النهوض بالأمة الإسلامية ودفاعاً عن الإسلام يمكننا أن نصوغ مجموعة من النقاط التي تعطي أهمية لهذه الدراسة :

- تعتبر الدعوة الإسلامية أصلا من أصول هذا الدين فوجب على كل قادر أن يقوم بها .

-التعرف على شخصية دعوية لها إسهاماتها الكبيرة في مجال الدعوة الإسلامية في العالم عموما وفي بلاد الشام خاصة.

يمكننا الموضوع من دراسة المجالات المختلفة التي تطرق إلها الشيخ مصطفى السباعي في مسيرته الدعوية، وإبراز معالم الإصلاح والتربية التي دعا إليها، ومقارنة ذلك كله بواقعنا اليوم.

أسباب اختيار الموضوع :

لعله من العسير أن نحدد أسبابا ومبررات لاختيار موضوع ما في مجال محدد للبحث والدراسة وذلك أن البحث لا يتأتى نتيجة سبب معين بذاته، وإنما ينشأ تدريجياً من خلال رغبة عامة أولاً ثم البحث المعمق في كثير من المصادر والمراجع، ولعلي أجد من الدواعي ما يؤكد ويقوي هذا الجهد المبذول، ولعل أبرز المبررات التي جعلتني أنجذب إلى هذا الموضوع هي:

يعتبر الشيخ مصطفى السباعي أحد رموز الحركة الإصلاحية في بلاد الشام، حيث تبنى العمل الدعوي ومارسه، وساهم في تأسيس حركة "الإخوان المسلمون" هناك، وقد عاصر أبرز رموز وشخصيات الحركة الإصلاحية الإسلامية: "حسن البنا ، سيد قطب ، محمد رشيد رضا ، محب الدين الخطيب..."

يمثل الشيخ مصطفى السباعي بإنتاجه الفكري المتنوع والشامل وبعمله الدعوي المنظم والمستمر، وبجهوده الإصلاحية في ميدان السياسة والعلم والتربية أنموذجا دعوياً متكاملا، وتجربة فريدة من نوعها ، تجذب اهتمام الباحثين في مجال الحقل الإسلامي.

من خلال دراستنا لبعض الشخصيات الدعوية في التخصص وفي طريق الإطلاع على بعض المصادر و المراجع وأنا أحضر لهذه الرسالة وجدت أن هذه الشخصية لم تلق الاهتمام الكبير في البحث و الدراسة، ولم يعط اهتماما يليق بمقامه لأعماله وجهوده في مجال الدعوة والفكر.

لعل الوضع الراهن الذي تمر به الأمة الإسلامية عموما وبلاد الشام خصوصاً دفعني إلى البحث عن شخصية ساهمت ذات يوم في الدفاع عن ما تمر به البلاد اليوم من خراب ودمار، حيث كان لهذه الشخصية الدور الكبير في الدفاع عن حقوق أبناء الشام بالوسائل والطرق السلمية.

أهداف البحث :

يسعى البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف نذكر منها:

رصد الأبعاد الدعوية التي تطرق إليها الشيخ مصطفى السباعي من خلال مسيرته الدعوية وهذا من خلال أحد أعماله الفكرية المهمة وهو كتاب "هذا هو الإسلام".

محاولة إبراز جهود الشيخ مصطفى السباعي في حركة الفكر والدعوة الإسلامية، وبيان الأثر الذي تركته في أواخر القرن 19 الميلادي.

تبرز بعض أهداف هذا البحث من خلال التأمل في الدوافع والأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا البحث –كالتعريف بشخصية مصطفى السباعي ودعوته – وما مدى تأثير جماعة"الإخوان المسلمون" في بلاد الشام وهي في بدايتها.

إبراز جهود أحد علماء "الإخوان المسلمون" في خدمة الدعوة الإسلامية والقضايا العادلة في العالم، ومنها القضية الفلسطينية منذ انطلاقتها.

الدراسات السابقة :

من خلال تطرقنا لهذا الموضوع وقفت على دراسة انصب جهد صاحبها على البحث في مثل هذا الميدان، هذه الدراسة التي تخدمنا على مستوى الموضوع، والتي كانت بعنوان: "الدكتور مصطفى السباعي وفكره الدعوي ..." ، وهي عبارة عن رسالة ماجيستر مقدمة من طرف الطالبة "أمينة بويصلة"، من كلية أصول الدين قسم الدعوة والإعلام والاتصال بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم

الإسلامية.قسنطينة. والتي تناولت فيها بصورة مختصرة الجانب الدعوي في حياة الشيخ مصطفى السباعي الدعوية ،كما كانت لها إشارات إلى بعض القضايا المهمة التي تم التطرق لها في دعوة الأستاذ، مع تناولها بالطبع لسيرة الأستاذ وأهم محطات ومسيرة حياته.

المنهج المعتمد في الدراسة :

من خلال عنوان الدراسة يتضح لنا جليا المنهج الذي يفرض نفسه في دراسة مسيرة وحياة الشيخ مصطفى حيث انتهجت المنهج السردي في ذلك، ومن خلال دراسة كتاب"هذا هو الإسلام"

نقوم بإعمال المنهج التحليلي لدراسة البعد الدعوي الذي انتهجه الشيخ مصطفى السباعي في مسيرته الدعوية .

وللحفاظ على وحدة منهج معالجة هذه المذكرة وتحقيق الانسجام في أقسامها، التزمنا بمنهجية واحدة في الإعداد من بداية الرسالة إلى نهايتها، وهي التي قررت في كتاب " خطوط رئيسية في كتبة البحوث الجامعية لطلبة قسم العلوم الإسلامية"، للدكتور: إبراهيم رحماني، ونلخص أبرزها:

كتابة الآيات:

مصحف المدينة

تخريج الأحاديث: عزو الأحاديث النبوية يكون في المتن وذلك بالطريقة الآتية: ذكر صاحب المصنف، عنوان المصنف، ضبط وترقيم وشرح إن وجد، رقم الجزء إن وجد، الكتاب والباب إن وُجدا والصفحة.

_ إذا كان الحديث في صحيح البخاري أو صحيح مسلم فإني أكتفي بالتخريج منهما، أما إذا لم أجد، فإنني أسعى إلى تخريج الحديث من غيرهم ، مع إيراد درجة الحديث –ما استطعت إلى ذلك سبيلا–.

_ أترجم لجميع الأعلام المعاصرين الواردة أسماؤهم في المتن .

التوثيق الكامل للمرجع في الهامش:

اسم ولقب المؤلف، عنوان الكتاب "الأجزاء إن وجدت ورقمها" (طبعة: رقم؛ المكان: المطبعة أو الناشر، التاريخ)، الصفحة ورقمها .

وعند تتابع الاقتباس في الصفحة الواحدة نكتفي بذكر : المرجع نفسه، ورقم الصفحة إن لم تكن نفسها

الآيات القرآنية: اسم السورة، رقم الآية .

من موقع إلكتروني:

عنوان المادة العلمية، (رابط الموقع الإلكتروني)، تاريخ التصفح .

الفهارس:

فهرس الآيات و الأحاديث النبوية .

فهرس الآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم.

قائمة المصادر و المراجع.

فهرس الموضوعات .

صعوبات البحث :

لا ريب في أن البحث اعترضته جملة من الصعوبات والعوائق، وخاصة ما تعلق منها بالجانب الموضوعي للبحث، حيث لم تكن لدينا دراسات سابقة تتعرض لهذه الشخصية، إضافة إلى الامتداد والتشعب الكبير في مضمون البحث وما نحن مطالبون به من تحديد لعدد صفحات الدراسة.

مدخل مفاهيمي للمصطلحات

من خلال العنوان "البعد الدعوي في أعمال الشيخ مصطفى السباعي" نجد أنه يتضمن كلمتين أساسيتين، يتمحور حولهما الموضوع وتدور عليهما الدراسة، وهذا مع الارتباط بكتاب "هذا هو الإسلام"، والذي يكشف ما خفي على الكثير من عمله وممارسته للدعوة في حياته وما ساهم به من إنتاج فكري وعلمي في حركته الإصلاحية ببلاد الشام وخارجها، هاتا ن الكلمتان هما "البُعد"

و"الدعوة "، ولذا سنفرد لهما مدخلا مفاهيما خاصا من أجل ضبط المصطلحين المركزيين حيث أننا نجدهما يتكرارات طيلة مراحل الدراسة، ويرتكز عليهما الموضوع شكلاً ومضموناً .

مفهوم الدعوة :

نجد للدعوة عدة معاني في كتب اللغة و التي نذكر منها:

01 – **الدعوة لغة** : (دَعَاَ) بالشيء دعوا ودعوة ودعوى طلب إحضاره يُقال (دَعَاَ) بالكتاب والشيء إلى كذا احتاج إليه.

أ- دعاهُ إلى القتال ودعاهُ إلى الصلاة ودعاهُ إلى الدين وإلى مذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه[1] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾[2] ، "الْهُدَى، الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: يَعْنِي: إِلَى دِينِ رَبِّكَ، {بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}،يَعْنِي: الْقُرْآنَ"[3] .

ب- الدعوة إلى الطعام بالفتح . يقال "كنا في دعوة فلان ومدعاة فلان .." .[4]

ج – الدعوة بالكسرة في النسب، يقال " فلان دعيٌ بين.. " الدعوة، والدعوى في النسب والدَعي أيضاً : من تبنيته [5]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ﴾[6] . " يَعْنِي: ادِّعَاءَهُمْ هَؤُلاءِ وَقَوْلَ الرَّجُلِ لامْرَأَتِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي" [7]

د – دعا الله: سأله الحاجة واستغاث به وتضرع إليه ، قال رسول الله ﷺ"إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ... أو ولد صالح يدعو له .."[8].

---

1 مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، ج01 (لا: ط ، القاهرة : دار الدعوة ، د.ت) ص286.

2 سورة النحل الآية 125 .

3 يحي بن سلام، تفسير يحي بن سلام، ج02(ط:01، لبنان بيروت: دار الكتب العلمية، 1425هـ- 2004م).ص 99.

4 إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، صحاح الجوهري، ج01 (لا:ط ، لا.ن ، د.ت) ص1549 .

5 المرجع نفسه .

6 سورة الأحزاب الآية 04 .

7 يحي بن سلام، تفسير يحي بن سلام، مرجع سابق، ص698.

8 أخرجه مسلم في صحيحه 1255/3 .كتاب الوصية .، وأبو داود في سننه 300/3 .كتاب الوصايا .، والترمذي في سننه 651/3 .كتاب الأحكام . باب الوقف، والنسائي في سننه251/6 .كتاب الوصايا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ﴾[1] سأل وتضرع واستغاث .

وقد تضاف إلى الدعوة كلمات فيغدو التركيب في كل مرة يعني ما يلي:

ذ- الدَّعوة الإسلاميَّة: نشر الإسلام وشهادة أنَّ لا إله إلاّ الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله "قام الرسول بتبليغ الدعوة على خير وجه- قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ... ﴾[2] "ويعني: عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له تعالى، أي: هو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء، والخوف، والرجاء، والحب، والرغبة، والرهبة، والإنابة "[3] ، والجهر بالدَّعوة: إخراج الرسول دعوته من باب السّريّة إلى العلانية- والدَّعوة المحمَّديَّة: دعوة النّبيّ مُحمّد ﷺ إلى الإسلام.

ر- الدَّعوة الانتخابيَّة: أمر قضائيّ يصدره الحاكمُ أو أيَّة سلطة تنفيذيّة أخرى تطلب عقد الانتخابات خاصَّة لملء مقعد شاغر.[4]

هذه التعاريف اللغوية لمصطلح الدعوة و الدعوة الإسلامية لا تعطينا المفهوم المراد الوصول إليه في هذه الرسالة، إلا من خلال التعرف على مصطلح الدعوة اصطلاحا .

02- الدعوة اصطلاحا:

أما الدعوة اصطلاحا فلها معنيان أساسيان، -فقد تكون الدعوة بمعنى النشر والبلاغ وهنا يقول المهتمون بمجال الدعوة على أنها صارت علما مستقلاً له موضوعه وخصائصه وأهدافه، وهو بذلك يواكب سائر العلوم الإسلامية،يفيدها ويستفيد منها، ويشاركها في إفادة الإسلام برسم طريق منهجي يكفل له الانتشار والذيوع، وقد تعددت التعريفات لمصطلح الدعوة في هذا الأساس بين جمهرة العلماء و الباحثين ولعلنا نذكر أبرز هذه التعريفات:

1 . السورة آل عمران الآية 38 .

2 سورة الرعد. الآية 14 .

3 يحي بن سلام، تفسير يحي بن سلام، مرجع سايق، ص 415.

4 أحمد مختار عبد الحميد عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 01 (ط:01 ، لا. م ،عالم الكتب ، 1429هـ- 2003م) ص749.

يعرفها الشيخ محمد الغزالي[1] في كتابه "مع الله": برنامج كامل يضم في أطواره جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس، ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين .."[2].

ويعرفها الشيخ محمد أبو الفتح البيانوني[3] بأنها: "تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة .."[4].

أما الأستاذ بهي الخولي[5] فيعرفها بقوله: "نقل الأمة من محيط إلى محيط .."[6]

وقد عرفها أحمد أحمد غلوش : بأنها "العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق"[7].

وقد تطلق أيضا بمعنى الدين قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ ... ﴾[8].

وهنا نجد مجموعة من التعاريف نذكر منها :

---

1 هو محمد الغزالي السقا الداعية والمفكر الإسلامي المصري ولد في 05 ذي الحجة 1335هـ - 22 سبتمبر 1917م نشأ وترعرع في أسرة كريمة وتربى في بيئة مؤمنة ، حفظ القرآن الكريم ، وقرأ الحديث في منزل والده الذي لقبه بهذا اللقب (الغزالي) وهو الذي كان شديد الإعجاب بالإمام الصوفي الكبير أبي حامد الغزالي، عرف عنه تجديده في الفكر الإسلامي كما عرف بأسلوبه الأدبي الرصين في الكتابة، واشتهر بلقب أديب الدعوة، توفي يوم السبت 20 شوال 1416هـ -09 مارس 1996م . (علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، ج01 /265) .

2 محمد الغزالي، مع الله (ط:06؛ القاهرة:نهضة مصر للطباعة و النشر، 2005م)،ص13.

3 محمد عبد الله أبو الفتح البيانوني،ولد: عام 1359 هـ الموافق 1940 م في مدينة حلب شمال سورية،التخصص العلمي في أصول الفقه، ولقد حصل على شهادة " الدكتوراه " في أصول الفقه من الجامعة الأزهرية برسالة قدمها بعنوان " الحكم التكليفي في الشريعة الإسلامية " وذلك عام 1390 هـ، عين مدرسا بكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية منذ عام 1389هـ - 1390 هـ، أنظر: مجلة البحوث الإسلامية، الجزء الثاني،ص 197.

4 محمد أبو الفتوح البيانوني؛ المدخل إلى علم الدعوة، مرجع سابق، ص17.

5 البهي بن نجا بن إبراهيم الخولي ، لم نجد ترجمة

6 محمد أبو الفتوح البيانوني؛ المدخل إلى علم الدعوة، مرجع سابق، ص18.

7 أحمد أحمد غلوش؛ الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها (ط:02؛ القاهرة: دار الكتاب المصرية- بيروت: دار الكتاب اللبنانية، 1407هـ- 1987م)، ص12 .

8 سورة الرعد الآية 14 .

"الدعوة الإسلامية: هي الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط، ومن المعلوم أن الانقياد لله دليل الخضوع له، ولذا اشترط الاختيار الحر في هذا الانقياد ليتحقق الخضوع التام"[1].

"الدعوة الإسلامية: هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله ﷺ وحفظها في القرآن الكريم وبينها في السنة النبوية"[2].

"إن النبي ﷺ هو رسول الدعوة كدين، وهو أساسها كوسيلة، وقد تركها بمعانييه ا أمانة في عنق الأمة الإسلامية، لتحيط بها وتسترشد منهجها في إصلاح الحياة .... والداعية الناجح هو الذي يجتمع في عقله الفهم الصحيح للإسلام والإحاطة الحية بالوسائل المثلى لتبليغه ونشره"[3].

تتنوع مفاهيم الدعوة بين العلماء إلا أنها تتفق في أن مصدرها واحد وهو كتاب الله وسنة نبيه .

مفهوم البعد : نجد لهذا المفهوم عدة معاني لغوية و اصطلاحي نذكر منها وبدون ترتيب :

البُعد: خلاف القرب[4] ، و البُعد : الهلاك[5]،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾[6]البُعْدُ الهلاك[5]،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾[6]البُعْدُ و البعادُ: اللعْن .

1. البعُد: هو أقصر الخطوط الواصلة بين الشيئين[7].

2. أبعاد (هندسة): امتدادات تقاس بها الأشكال أو المجسمات وهي ثلاثة : الطول ، العرض العمق .

---

1 أحمد أحمد غلوش؛ الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، ص12 .

2. المرجع نفسه.

3 المرجع نفسه، ص 14.

4 محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، لسان العرب. ج 03 (ط:03، بيروت: دار صادر، 1414هـ)ص 89 .

5نشوان بن سعيد الحميري اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. ج 01 (ط: 01، بيروت لبنان: دار الفكر المعاصر، 1420هـ- 1999م) ص574 .

6سورة هود الآية 95 .

7أيوب بن موسى الحسين القريمي الكفوري، الكليات معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية (لا.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، لا.ت) ص249 .

3. أبعاد الشعور (علم النفس) : سمات ومظاهر علمية من شدة أو ضعف ووضوح أو غموض وطول أو قصر.

4. في قولنا بعيد كل البُعد: بعيد جداً، وللمبالغة في البُعد: كلام بعيد المرامي، بعيد المقاصد.

5. بعُد الشقة: اتساع المسافة أو الفجوة.

6. بعُد الصيت: سعة الشهرة.

7. بعُد الهمة: عُلوها.

8. ذو بعُد : ذو رأي عميق و حسن تدبير.

9. أبعاد مسألة: أهمية ، مظاهر علمية.

10. البُعد: امتداد موهوم غير محسوس "بُعد ثقافي – بُعد حضاري" [1].

ما يهمنا من خلال التعريفات السابقة أكثر هو الثلاثة الأخيرة، فمن خلال التعريف التاسع والعاشر، وإذا أضفنا البُعد لمصطلح الدعوة في أعمال الشيخ مصطفى السباعي نرى مدى عمق التفكير الذي كان عند الشيخ في حياته الدعوية وحسن الرأي والتدبير في ذلك،وندرك ونطلع على المظاهر العملية التي انتهجها الشيخ في مسيرته الدعوية من خلال أعماله، أما التعريف الأخير فيبرز لنا فيه الجهود الدعوية وامتدادها في بعض أعمال الشيخ مصطفى السباعي، وكيفية بناء دعوته ونضاله طول حياته من أجل إصلاح الواقع الذي كان يعيش فيه، وقد سعى في أعماله إلى إظهار الجانب الدعوي في كل محطة يمر بها .

خطـة البـحــث

الفصل التمهيدي :

-إشكالية الدراسة

-أهمية الدراسة

-أسباب اختيار الموضوع

-أهداف الدراسة

1أحمد مختار عبد الحميد عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، مرجع سابق، ص225 .

-الدراسات السابقة

-المنهج المتبع في الدراسة

-مدخل مفاهيمي

الفصـل الأول: السباعي مسيرته الذاتية وجهوده الدعوية

المبحث الأول: سيرته الذاتية.

المطلب الأول: عصره وبيئته.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

المطلب الثالث: مسيرة تعليمه.

المبحث الثاني: جهوده الدعوية.

المطلب الأول: تأسيس حركة الإخوان المسلمون بسوريا

المطلب الثاني: نشاطاته الدعوية والعلمية (الخطب، الرحلات العلمية، جهاده).

المطلب الثالث: مواقفه الدعوية (السياسية والدينية اتجاه بعض القضايا التي عايشها).

المبحث الثالث: آثاره.. وفاته وأهم ما قيل عنه

المطلب الأول: مؤلفاته

المطلب الثاني: وفاته

المطلب الثالث: أهم ما قال عنه بعض العلماء.

الفصل الثاني: أبعاد دعوة مصطفى السباعي من خلال مؤلفه "هذا هو الإسلام".

المبحث الأول: الأبعاد الفكرية والتربوية

المطلب الأول: منهجه في الإصلاح.

المطلب الثاني: واقعية الإسلام.

المبحث الثاني: الأبعاد التشريعية

المطلب الأول: مشروعية الإرث وأحكامه

المطلب الثاني: المرونة والتطور في التشريع الإسلامي

المبحث الثالث: الأبعاد السياسية

المطلب الأول: الدين والدولة في الإسلام

المطلب الثاني: مظاهر نظام السلم والحرب في الإسلام

الخاتمة

الفصل الأول:

الفصل الأول: السباعي مسيرته الذاتية وجهوده الدعوية

المبحث الأول: سيرته الذاتية

المطلب الأول : عصره وبيئته

ولد الشيخ مصطفى السباعي في ظروف صعبة تمر بها البلاد العربية والإسلامية، فقد شهد هذا العصر أخطر التحولات السياسية والاجتماعية في كثير من البلاد العربية ومن بينها بلاد الشام بوصفها حلقات ودوائر في مخطط المستعمر الأوربي، كما شهد هذا القرن ظهور أبرز الحركات والتنظيمات والمدارس الفكرية الجديدة أو غير المعهودة من عشرات السنين؛ وقد تشظت الدولة العثمانية في أوروبا وآسية، ونشأت القضية الفلسطينية وتم تقسيم سائر بلاد الشام إلى عدة دول وكان وجه الخطورة يكمن في سرعة هذه التحولات من جهة وفي تكريسها من جهة أخرى .[1]

وبالنظر في تاريخ مولد السباعي (1915م)، نجد أن هذا التاريخ قد شهد بداية تقسيم الإرث الأوروبي كما سمي في ذلك الوقت بين الدول العظمى (روسيا ، فرنسا ، إنكلتر ا) ،أين أقيمت مفاوضات سياسية كبيرة في هذا الأمر لأجل الاستيلاء على هذه الأراضي، والتي انتهت بمعاهدتين سريتين "، عقدت الأولى منهما بين روسيا وفرنسا وبريطانيا (آذار- مارس 1916م) والثانية بين فرنسا وإنكلترا إتماماً للأولى وتنفيذاً لأحكامها (أيار-مايو 1916م) ، وقد جاءت هاتان المعاهدتان على خلفية دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية بجانب ألمانيا والنمسا ضد الدول الثلاث المذكورة سابقاً الأمر الذي " أعطى لهذه الدول الفرصة لتحقيق أطماعها في البلاد العثمانية بوجه عام، وفي البلاد العربية التابعة لها على وجه خاص، ولاسيما فرنسا فإنها وجدت في ذلك فرصة ثمينة لتحقيق أطماعها في سوريا فحسب، بل لتوسيع تلك الأطماع نحو الشمال الإفريقي أيضا "[2].

1عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد،(ط:01، دمشق: دار القلم، 1421هـ - 2000م) ص27.
2 المرجع نفسه، ص28 .

وقد جرت في نفس السنة مفوضات أخرى بين المخابرات الإنكليزية وأمير مكة الشريف حسين [1] في طور جدي وفعال عندما تولاها (هنري ماكماهمون) نائب ملك بريطانية في مصر، وكانت هذه المفاوضات تدور حول استقلال البلاد العربية، وقد أعلنت الثورة العربية في سبيل تحقيق هذا الاستقلال- في العاشر من حزيران – يونيو 1916م- في أواخر السنة الثانية منا لحرب العالمية؛ في حين تم توقيع (سايسكس-بيكو) حول اقتسام فرنسة وإنكلتر ا لبلاد الشام والعراق بتاريخ 26 أيار(مايو) 1916م وقد نسبت هذه الاتفاقية إلى المفاوض الإنكليزي مارك سايكس والمفاوض الفرنسي جورج بيكو.

هذه أبرز الظروف التي ولد فيها الشيخ مصطفى السباعي والتي ما زلنا نتجرع آثارها ليوم الناس هذا، والتي قضت على قوة وهيمنة الدول العثمانية حاملة لواء الإسلام في ذلك الوقت .

إن الجانب السياس ي له دوره الكبير في نجاح أو فشل الجوانب الأخرى التي تقوم عليها الدول وهذا ما نشهده في البلاد العربية والإسلامية، ففي أواخر عمر الدولة العثمانية، قد شهدنا غزو ثقافياً واجتماعيا كبير بين أوساط المجتمع العربي والإسلامي، فظهرت ثقافات غريبة ومظاهر لا تمس للإسلام و المسلمين بصلة ولعل هذه الجوانب هي التي أدت إلى اندثار قوة الإسلام وتمزق ارتباط المسلمين بحبل الله، وقد نجحت مساعي الغرب في ذلك ما مكن لهم النجاح في الجانب السياس ي وقد كتب الشيخ مصطفى السباعي في ذلك بقوله " لن تنهض أمة إلا بعد أن تكون متحدة في الفكر والثقافة والغاية، أما أن تكون موزعة الأهواء، مختلفة في الغاية التي تسعى إليها فستبقى أبداً الآبدين محطّ أنظار الطامعين والجائعين "[2]؛ لقد عاش الشيخ مصطفى السباعي في هذه الظروف منذ صغره أين لاحظ الحالة التي آلت إليها بلاده، وتأثر بالواقع المرير الذي نشأ فيه وخاصة ما تعلق بفئة

1 الشريف حسين بن علي بن محمد عبد المعين من أحفاد أبي نمى بن بركات الحسني الهاشمي، آخر من حكم مكة من الأشراف الهاشميين، ولد – "آستانه" وكان أبوه بها، وانتقل معه إلى مكة وعمره ثلاث سنوات، وفي أيام الحرب العالمية الأولى نهض نهضته المعروفة بإيعاز من الاستعمار البريطاني، وأمده الانجليز بالمال والسلام ضد عساكر الترك، وبانتهاء الحرب العالمية في 1918م ثم استيلاء الحسين على الحجاز كله، توفي في عمان ودفن في القدس 1350هـ، أنظر:كتاب: دعايات ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد منظور النعماني(لا.ط، الهند: مكتبة الفرقان: 1400هـ-1980م)ص116 .

2 عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد، مرجع سابق، ص63.

الشباب وما جنى عليه الموروث الوافد مع الاستعمار الفرنسي والإنكليزي من عادات وتقاليد دخيلة عن واقعه وقد كتب في هذا بقوله "... وأنت إذا اختلطت بالشباب واستمعت إليهم في مجالسهم أفزعك ما تراه من تباين أفكارهم وتضارب ميولهم وتنوع الدعايات بينهم؛ فهذا شيوعي يمجد ستالين ويدعو لمبادئه، وهذا فاشيستي يرفع من شأن الدوتشي ويشيد بفضائله، وهذا قومي يدعو إلى إطراح الأديان ووجوب تزوج المسلمة من غير أبناء دينهم ليتم التعاون بين أبناء الملل المختلفة، وهذا إباحي يرى إطلاق الأمة من قيود الفضيلة والدين ليفعل ما يشاء من المنكرات، ويعاشر من تعجبه من الفتيات، ويدعو إلى مايراه من المعتقدات ولو كان فيها الهدم و الفساد إلى غير هذا وذاك مما يبعث فيك العجب والدهشة، ويحملك على أن تستبعد أن يكون هؤلاء لشباب، مع ماهم عليه من اختلاف المشارب، أبناء وطن واحد و أمة واحدة ولغة واحدة...)"[1] .

في حديثنا عن المشهد الثقافي والاجتماعي الذي عايشه السباعي نجد أن أبرز ما جسده هذا المشهد هي تلك الإرساليات الدينية والمدارس التبشيرية التي أثرت في واقع الأمة تأثيراً مباشر، وهذا بشهادة احد معارضي السياسة الاستعمارية الفرنسية إزاء القضية السورية، (دالا دييه)في البرلمان الفرنسي والذي أشاد بالأعمال الجليلة التي تقوم بها هذه الإرساليات والمدارس فيقول: " إنني لا أنكر جلال العمل الذي تم في سوريا، سواء على يد المبشرين المسيحيين أو على يد الرجال العلمانيين " [2] فقد كانت هذه المدارس الإرسالية بوصفها مدارس حديثة أصابت حالة الركود الثقافي السائدة وأساليب التعليم القديمة بصدمة شديدة إذا أضفنا إليها (المدارس الحديثة) أيضاً التي تم افتتاحها في ظل الوصاية الفرنسية ولاحظنا أن هذه المدارس كانت تعكس على وجه العموم التوجهات العلمانية في الكتب الدراسية ومناهج التعليم، أدركنا معنى وسبب سريان الفكر القومي والعلماني بين المتعلمين والمثقفين .

هذا الإصلاح والتجديد الذي شهدته البلاد العربية والإسلامية زرع بين المجتمع أفكار غريبة لم يعهدها من قبل، أين عملت على تجاهل المضامين الإسلامية واستبدالها بالقوانين العلمانية الوضعية

1 ينظر كتاب: عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد ، ص65.

2 ينظر: كتاب: المرجع نفسه، ص67.

التي جاءت بها الحملات الصليبي ة التي قادتها القوى العظمى، وقد ساعد في انتشارها الصراعات الداخلية التي كانت تعاني منها الدول الإسلامية في ذلك الوقت .

يمكن القول أن هذه أبرز ملامح البيئة التي عايشها الشيخ مصطفى السباعي منذ نشأته وهي التي ساهمت في صناعة شخصية مصطفى السباعي الفذة نتيجة كل الظروف السياسية أو الثقافية والاجتماعية التي مر بها في بدايات حياته .

المطلب الثاني : مولده ونشأته

هو مصطفى حسن السباعي الحمصي ولد عام 1915م، في مدينة حمص السورية وفيها نشأ وترعرع وتلقى تعليمه حتى قبل الجامعة، هو من أسرة علمية عريقة كان أجداده يتولون الخطابة في الجامع الكبير بحمص جيلاً بعد جيل وكان لأبيه مجالس علمية مع لفيف من فقهاء المدينة يجتمعون فيها ويتدارسون الفقه ويتناقشون في أدلة مسائله على تعدد مذاهبهم، وقد أثرت هذه الأجواء العائلية على الخطوات الأولى لحياته. فقد عوده أبوه أن يصحبه إلى مجالس العلم وهو لم يتجاوز سن الحداثة[1]، ومنه تشرب حب الخير وكره الاستعمار، وشهد والده وهو يشارك في قتال الفرنسيين والمرتزقة من أعوانهم، مع الشباب والمشايخ الذين أعادوا لحمص سيرة البسالة والنضال الإسلامية، وقد تحدث الشيخ مصطف السباعي عن حياة والده وسيرته التي تميزت بموصفات عديدة في الجهاد والعلم والفكر والإصلاح وكيف أثر ذلك في تكوين شخصيته حيث يقول :" وكان يرحمه الله قوي الشكيمة مع أعداء البلاد، مسارعا إلى الجهاد..مؤيداً للحركات الوطنية قولاً وعملاً. ولا أزال أذكر و أنا ابن ست سنين كيف رايته مع أكثر علماء حمص- وهو أصغرهم سناً — يطوفون في شوارع المدينة وأسواقها وقد تمنطقوا بأحزمة الرصاص وبأيدهم البنادق، يمشون على مهل صفوفاً منتظمة، مكبرين مهللين، داعين الشعب إلى مقاومة الفرنسيين حين اقتربوا من حمص عند احتلالهم لسوريا...."[2]، كما كان محباً للخير ومساهما فيه بكل ما أوتي من قوة، فقد سعى لتأسيس الجمعيات الخيرية ورعاية الأيتام وجمع الأموال والتبرع بها لأصحاب الفاقة وعن هذا يحدثنا الابن البار مصطفى السباعي فيقول :" ولما حصل الإضراب العام ضد الفرنسيين في سوريا عام 1936م واستمر ستين أو سبعين يوماً أصابت العمال منها ضائقة شديدة، فألف-أي والده- لجنة من إخوانه لجمع التبرعات لهم.. وطافوا على التجار فجمعوا من الأقمشة آلاف الأمتار ومن الرز والسمن مقادير كبيرة وزّعت كلها على العمال المتضررين"[3]؛ كما كان الوالد محب لدعوة الإصلاح وداعماً لها ومجاهداً في سبيل ذلك بكل ما يملك حتى انه كان لا يبالي بما يلحق به وبعائلته من الأضرار في سبيل ذلك ويحدثنا هنا الشيخ مصطفى

1 محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج01(ط:01، القاهرة: دار الشواف، 1992م)ص394.

2 ينظر: كتاب عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد، مرجع سابق، ص86 .

3ينظر: المرجع نفسه، ص 87.

السباعي عن قصة اعتقاله وكيف تلقى الوالد هذا الخبر فيقول:" حدثني أخي الشيخ محمد الحامد أنه قابل أبي بعد اعتقالي في مصر في أوائل الحرب العالمية الثانية ونقلي إلى معسكر صرفند في فلسطين – وكان أبي لم يعلم بالخبر بعد – واخبره بأمر اعتقالي فتبسم وقال: " لا بأس فالسجن للرجال " [1].

إذن هذه هي بعض مميزات والظروف التي نشأ فيها مصطفى السباعي، ذات البعد الإسلامي الصرف وبمقومات التضحية والجهاد، أين تكونت لنا شخصية مميزة استطاعت أن تحمل على عاتقها لواء الإصلاح والدعوة والعلم والجهاد.

المطلب الثالث : مسيرته التعليمية

كانت بدايات السباعي كما أسلفنا سابقاً من أسرته العلمية المرموقة التي تربي في أحضانها، أين نشأ في رحاب القرآن الكريم ودرس علوم الدين على يد أبيه، حتى بلغ السن التي تخوله دخول المدرسة الابتدائية، حيث التحق بالمدرسة المسعودية [2]، وبعد أن أتم فيها دراسته بتفوق ظاهر، التحق بالثانوية الشرعية وأتم دراسته فيها عام 1930 بنجاح باهر لفت أنظار كبار أساتذته الذين كانوا يتوقعون له مستقبلاً علمياً باهراً. ولم يقتصر في دراسته الشرعية على المناهج المدرسية، وإنما كان يحضر مجالس العلم التي كان يعقدها والده مع كبار الفقهاء والعلماء، وكان يتردد على غيرهم من علماء حمص يتلقى عنهم العلوم الإسلامية المختلفة. كما كان السباعي مولعاً بالمطالعة والبحث في كتب الأدب والثقافة المختلفة، وفي ذلك قام بتأليف جمعية سرية لمقاومة مدارس التبشير الأجنبية التي أنشئت بمساعدة السلطات الاستعمارية الفرنسية، وكانت هذه المدارس تحبب إلى طلابها الثقافة الغربية وتعمل على إبعادهم عن عقيدتهم.. فعمل السباعي على محاربتها.[3]

لم يكن بروز هذه الشخصية الفذة مجرد صدفة، فقد تأثر مصطفى السباعي بمجموعة من العلماء والمشايخ وهو في سن مبكرة جداً فقد كان لوالده وأعمامه الفضل الكبير في ذلك، إضافة لمجموعة

1 "مجلة حضارة الإسلام- السنة الثانية العدد السادس و السابع 1961م" ينظر: كتاب: عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد، مرجع سابق، ص88.

2 المدرسة المسعودية : وهي مدرسة خاصة أسسها الشيخ طاهر الرئيس بالمدينة،(عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد، ص 93) .

3 أعضاء ملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في ترجمة العلماء وطلبة العلم المعاصرين،ج:01، ص 343.

كبيرة من العلماء وعلى رأسهم الشيخ محب الدين الخطيب [1]، هذا التأثر فعل فعله على نحو قريب أو مماثل للأسرة المجاهدة النبيلة ...بل جاء مكملاً له ومضافاً إليه في الوقت المناسب .. فقدح في نفسه الشرارة في الوقت الذي كان ما يزال في بداية طلبه للعلم يحاول ملء الوعاء .. وهذا سر نهوضه بأعباء العمل العام في سن مبكرة جداً لم تكن تتجاوز الثلاثة عشر ربيعاً، وقد كتب مصطفى السباعي في فضل شيخه في عام 1356هـ -1937م إذ يقول :" لا أعرف أن لأحد فضلاً علي فيما أجده في نفسي من غيرة على الإسلام وحمية في الدفاع عنه، وآلام بالغة مما وصلت إليه حالة المسلمين، إلا لرجل واحد أحببته قبل أن أراه، ثم لم تزدني معرفتي به إلا حباً فوق حبي له، وإكباراً لا يدانيه إكباري لأحد من رجالات المسلمين اليوم. ذلك هو المسلم الذي فهم الإسلام حق فهمه وخدمه حق خدمته: الأستاذ محب الدين الخطيب " [2]؛ فقد كانت مجلة لمجلة الفتح وقعها الخاص والعميق على طلبة ذلك الوقت في ظل التيهان الفكرية وعدم فهمهم للواقع الذي تتخبط فيه الأمة الإسلامية فمعظم الطلبة كانوا ينظرون إلى أعمال الكماليين في تركية إصلاحاً ونهوضاً، وأعمال أمان الله خان[3] رقياً وتمدناً .

1 محب الدين بن أبي الفتح محمد ابن عبد القادر بن صالح الخطيب 1303 - 1389 هـ = 1886 - 1969 ، يتصل نسبه بعبد القادر الجيلاني الحسني: من كبار الكتاب الإسلاميين. ولد في دمشق. وتعلم بها والاستانة وشارك (سنة 1324 هـ في إنشاء جمعية بدمشق سميت " النهضة العربية " وكان من أعضائها الدكتور صالح الدين القاسمي. ورحل إلى صنعاء فترجم عن التركية وعمل في بعض مدارسها. ولما أعلن الدستور العثماني (1908) عاد إلى دمشق... أشرف على نشر عدد كبير من كتب التراث وغيرها. ونشر من تأليفه " اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب " و " تاريخ مدينة الزهراء بالأندلس " و " ذكرى موقعة حطين " و " الأزهر، ماضيه وحاضره والحاجة إلى إصلاحه " و " الرعيل الأول في الإسلام " و " الحديقة " مجموعة كبيرة في إجزاء صغيرة، أصدر منها 13 جزءا. وغيرها، أنظر: كتاب الأعلام، خير الدين الزركلي (ط: 15، لا.م: دار العلم للملايين، مايو 2002 م) ص282.

2 عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد، مرجع سابق، ص90 .

3 . تسلم السلطة عام 1338هـ إثر اغتيال والده، اتخذ لنفسه لقب ملك، وفي عهده انتصرت أفغانستان بقيادة محمد نادر خان على إنكلترا التي اضطرت على الاعتراف باستقلال أفغانستان، أنظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ج 18(ط01، بيروت- دمشق –عمان : المكتب الإسلامي، 1416هـ- 1995م) ص 206.

القاهرة و الدارسة بالأزهر:

سافر مصطفى السباعي إلى مصر عام 1933، والتحق بالجامعة الأزهرية، وانتسب إلى قسم الفقه (تخصص فقه و أصوله)، ثم انتقل من حياة الأروقة إلى نظام الكليات، وأدهش أساتذته لما أبداه من تفوق باهر، ثم انتسب إلى كلية أصول الدين، ونال إجازتها بتفوق التحق بعدها بقسم الدكتوراه لنيل شهادتها في التشريع الإسلامي وتاريخه، وقد قدم أطروحته العلمية وموضوعها (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) التي نالت درجة الامتياز، وكان ذلك عام 1949م وقد أدهش اللجنة بدقته العلمية،إذ كان تفنيداً علمياً قاهراً لأباطيل أبي رية ومن وراءه من المخدوعين والمضلين.

وقد قال عنه علاّمة الشام المغفور له الشيخ بهجة البيطار [1]:" لو أن العمائم على مقدار العلم لكان من حق السباعي أن تملأ عمامته هذا المسجد بفضل هذا الكتاب" [2]، وأصبح هذا الكتاب القيم من أهم المراجع العلمية في موضوعه.

1 محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار(1311 - 1396 هـ) (1894 - 1976 م)، عالم، فقيه، أديب، مؤرخ، مصلح. ولد بدمشق. وكان والده عالماً أديباً، فنشأ في حجره، وتلقى عليه مبادىء علوم الدين واللغة، وعلى أعلام عصره، ونال الإجازة منهم في العلوم العقلية والنقلية. اختير عضواً في جمعية العلماء، ثم في رابطة العلماء بدمشق، وتولى الخطابة والإمامة والتدريس في جامع القاعة بالميدان، ثم في جامع الدقاق حتى وفاته، تنقل في وظائف التدريس في سورية والحجاز ولبنان، ودرَّس في الكلية الشرعية بدمشق، وفي دار المعلمين العليا، ثم في كلية الآداب، وبعد التقاعد قصر نشاطه على المحاضرات الجامعية والتدريس الديني. وكان عضواً في المجمع العلمي العربي، ومشرفاً على مجلته.له رحلات ومواقف علمية طيبة. ومؤلفات عديدة، ورسائل وردوه‌توفي في غرة جمادى الآخرة. انظر: تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان (ط:01، بيروت لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر و التوزيع، 1418هـ-1997م)ص718.

2 محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، مرجع سابق، ص395.

المبحث الثاني : جهوده الدعوية

المطلب الأول: تأسيس حركة الإخوان المسلمين في بلاد الشام .

لقد آمن الشيخ مصطفى السباعي بواجب الإصلاح والتربية على الأسس العلمية السليمة وبالأخلاق الحسنة والفهم الصحيح، وقد أدرك ذلك في وقت مبكر من حياته، أين أخذ على والده وأعمامه مهمة نشر هذه الدعوة والكفاح من أجل إعلاء كلمة الحق، وقد تطرقنا لهذا في مسيرته ولاحظنا أن هناك عوامل ساعدت على تكوين هذه المبادئ والقيم والأفكار في مخيلة الولد النابغة وقد تطور هذا الفكر عند التقاءه بالشيخ حسن البنا في مصر والتعرف عليه وإعجابه بهذه الشخصية وبالعمل الرائد الذي ضاع صيته في معظم البلاد العربية والإسلامية نتيجة ما وصلت إليه من نجاح وتأثير في الأوساط الشبابية خاصة في مصر، " ورأى أن ما كان ينشده ويفكر به من تنظيم جماعة تنهض بعبء رسالة الإسلام، قد تحقق على يدي الإمام البنا، فساهم خلال وجوده في مصر بدفع هذه الحركة، وتوسيع نشاطها، وتدعيم أساسها، فاستفاد من تجربتها وأفادها من خبرته ونشاطه. وبلغ نشاطه حداً أقلق الاستعمار البريطاني وأتباعه في مصر آنذاك فألقي القبض عليه من قبل القيادة البريطانية بتهمة تحريض الشعب المصري على الثورة ضد الإنكليز "[1]، وعند عودته إلى بلاد الشام كان ولابد من نقل هذه التجربة إلى وطنه لتكون بذلك فصيلة نزعت من مزرعة العلم والجهاد بمصر لتكون بإذن الله شجرة يانعة في أرض الرباط تؤتي أكله بعد حين بإذن ربها، "وهنا اجتمع العلماء والدعاة ورجال الجمعيات الإسلامية في المحافظات السورية وقرروا توحيد صفوفهم، والعمل جماعة واحدة وبهذا أسست منهم(جماعة الإخوان المسلمين) لعموم القطر السوري، في عام 1945م، واختار الجميع الأستاذ مصطفى السباعي ليكون أول مراقب عام للإخوان المسلمين في سورية ."[2]

وبعد هذه الخطوة باركت الصحف والمجلات التابعة للإخوا ن المسلين هذه الخطوة الجديدة في مسيرة حركة الإصلاح وامتدادها إلى خارج التراب المصري لتكون بذلك سند لهم في الخارج، وقد

1أعضاء ملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في ترجمة العلماء وطلبة العلم المعاصرين ، مرجع سابق، ص344

2 عبد الله العقيل، من أعلام الدعوة و الحركة الإسلامية. ج01(ط:08؛ لا.م: دار البشير؛ 1429هـ-2008م)، ص 1152.

اعتبر الشيخ حسن البنا ذلك زيادة في الخير الصلاح في الأمة، ورفض أن يشار إلى الشيخ مصطفى السباعي كونه جندياً في هذا التنظيم وبكونه قائداً له، وهنا ننقل ما جاء في جريدة (الإخوان المسلمون) بمصر والتي نشرت صورة البنا والسباعي وكتب تحتها:(قائد وجندي)، فكتب الأستاذ البنا إلى رئيس التحرير يقول: ".. كما قرأت كذلك تحت الصورة التي نشرتموها بالأمس أيضاً تقديماً لي ولفضيلة الأخ الأستاذ مصطفى السباعي، وفي نهايتها هاتان الكلمتان (قائد وجندي)، فإن أردتم بالقائد فضيلة الأستاذ مصطفى السباعي وبالجندي هذا الضعيف الذي ما اعتبر نفسه يوماً من الأيام إلا أصغر جنود دعوة الحق، فقد أحسنتم وصفاً وشكراً لكم.. و غن كنتم تقصدون ما تبادر إلى الأذهان من أول وهلة وحين يرون مرشداً ومراقباً فإلى الله أبرا مما صنعتم وإلى الإخوان أعتذر عما وضعتم، وأرجو ألا تحملنكم المداعبات الصحفية على مثل هذه المتعبات النفسية و الله أسأل أن يوفقنا جميعاً للخير، وأن يسدد خطانا لما يحب ويرضى، وأن يجمع القلوب على ما فيه خير الوطن العزيز"[1] .

يظهر جلياً هنا العلاقة التي كانت تحكم تنظيم الإخوان المسلمين، من خلال هذا الموقف الرائع للشيخ حسن البنا واعتبار نفسه جنديا في طريق الدعوة إلى الله، حيث أن المناصب لم تكن أبدا شغلهم في حياتهم.

1عبد الله العقيل، من أعلام الدعوة و الحركة الإسلامية، مرجع سابق، ص1152.

المطلب الثاني: نشاطاته الدعوية و العلمية

1 – نشاطه الدعوي:

أ – قوة الكلمة :

عرف عن السباعي حماسته الكبيرة وقوته في الإلقاء والخطابة والفصاحة، حيث كان يرتجل خطبه منذ بدايته فيها، وهنا يتبادر إلى أذهان المستمعين الدهشة حول كيفية انتقاء السباعي لهذه الألفاظ والمعاني القوية و المحكمة، وتتعجب من الارتجال الذي يأتي مسدداً في أسلوبه وفي إصابته للهدف المراد الوصول إليه في نفوس مستمعيه دون أن تقع آذناك على هفوة لفظية، وقد تجد بعض الخطب التي لم يحضر لها أصلا تأتي من خلال مواقف ومحطات فجائية، أي أن الموضوع ابن لحظته لم يعد له أفكار منسجمة وعبارات متزنة ليضع نفسه موقف مرتهن، "ليبادر مباشرة لفك الرهان بما أتاه الله من فصاحة اللسان، وحصافة العقل، وذكاء العقل، وجمال السمت، وعذوبة الصوت، وأسر موسيقاه وحضور البديهة التي تحتوي ما قد يجد على الموقف".[1]

ب – دفاعه عن دين الدولة :

سعى السباعي إلى خدمة الإسلام من جوانب عديدة وفي شتى المجالات، فقد دافع وناضل من أجل إعلاء راية الإسلام وكلمة الحق في مواقف وميادين مختلفة، ونذكر هنا معركته التي خاضها في أروقة البرلمان السوري أيام كان نائبا فيه،فقد كان من أوائ ل المدافعين عن المادة المتعلقة بدين الدولة والتي شغلت الرأي العام السوري كثيراً، وهو الذي كان عضواً في اللجنة التأسيسية من أجل صياغة مشروع دستور البلاد وهذا تمهيداً لمناقشته وإقراره من قبل الجمعية العامة .

1 سالم أحمد المسالمة، "مصطفى السباعي الداعية الرائد والعالم المجاهد"، بحث منشور على شبكة الإنترنت (www.alukah.net)، تاريخ التصفح:2017/04/10 .

ت – محاربة البدع والأفكار الدخيلة :

في طريق دعوتنا الصحيحة تقابلنا بعض الأعراف والقيم التي توارثها المجتمع المسلم، وفي كثير من الأحيان تكون لا صلة لها بدين الله وتنسب إلى انه من الدين بالضرورة ، وهذا ما وقفنا عليه في مسيرة الشيخ مصطفى السباعي الدعوية أين وجد نفسه مع كل تلك الانشغالات المتعددة يحارب الخرافات والبدع التي سلبت عقول كثير من الناس وانتشرت فيما بينهم انتشار النار في الهشيم، ولعل من أبرزها (خميس المشايخ) [1] وما قام به من أجل إبطال كابوس الدجالين عن صدور المخدوعين وكذلك ليلة النصف من شعبان والتي يقول عن دعائها المشهور: " وإذن فهذا الدعاء من صنع المئات المتأخرة .. وهو من الناحية الشرعية غير جائز، ففيه الزعم بأن ليلة النصف من شعبان هي التي يفرق فيها كل أمر حكيم، وهذا زعم باطل باتفاق جمهور العلماء. وفي هذا الدعاء نسبة المحو والإثبات إلى الله في أم الكتاب، وهو محال عليه، وعلم الله لا يتبدل ولا يتغير، ومن زعم غير ذلك فقد نسب إليه الجهل أو التردد، وكلاهما على الله محال"[2] .

ويرى الشيخ مصطفى السباعي أن مكافحة البدع هو أول طريق الإصلاح للجيل المسلم، الذي لا أمل له بالنصر إلا عن طريق الالتزام بحقائق الإسلام، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالوقوف عند حدود ما شرع الله وبلغ رسوله ﷺ .

2 – رحلته العلمية والدعوية :

لم يتوقف نشاط الشيخ مصطفى السباعي في سوريا أو بلاد الشام ليمتد إلى عواصم وبلاد العربية و الغربية، مدافعاً عن الإسلام وحامل في جعبته من حقائق هذا الدين وسماحته ما يبطل ويدحض زيف وافتراء المستشرقين على الإسلام وأهله، "ففي عام 1956 أوفدته الجامعة السورية إلى ديار الغرب لزيارة الجامعات الغربية والاطلاع على مناهج الدراسات الإسلامية فيها، فزار تركيا وإيطاليا

1 موسم يقع في شهر نيسان (أبريل) من كل عام كانت تخرج فيه مواكب مشايخ الطرق بطبولهم وأعلامهم، ويقع فيه من المنكرات و الشعوذة باسم الدين ما يخجل منه كل مسلم، وكان الفرنسيون يلتقطون لهذا الموسم أفلاماً يعرضونها في أوروبة لتشويه سمعة الشعب السوري خاصة و المسلمين عامة"،(محمد عدنان زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد، ص98).

2 محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، مرجع سابق، ص409 .

وبريطانيا وايرلندا وبلجيكا وهولندا والدنمارك والنرويج والسويد وفنلندا وألمانيا والنمسا وسويسرا وفرنسا، واجتمع في هذه البلاد كلها بالمستشرقين من أساتذة الدراسات الإسلامية والشرقية، وناقشهم في مؤلفاتهم عن الإسلام، وكشف لهم الأخطاء العلمية والتاريخية التي وقعوا فيها، وبين لهم حقائق الإسلام بأسلوب علمي فأدهشهم بقوة حجته وغزارة علمه، وحضور بديهته وسعة آفاقه، ومرونة أسلوبه. وقد عاهده فريق منهم على أن لا يكتبوا عن موضوع إسلامي إلا بعد أن يراجعوه في صحة المعلومات التي وصلت إليهم. كما أنه استفاد من وجوده هناك فألقى المحاضرات في المساجد وفي الجامعات وفي الندوات مدافعاً عن حقوق العرب في فلسطين والجزائر، وقضايا الشرق والإسلام".

هذا الجهد كله كان في سبيل إيضاح دعوة الإسلام في سائر أقطار العالم، و بيان ما لصق به من تشويه وزيغ، في ظل ظهور حركات غربية معادية للإسلام .

وفي عام 1957 سافر إلى موسكو مع إخوانه عمداء كلية الجامعة بدعوة من جامعة موسكو زار خلالها معظم الجامعات الروسية في مختلف الأقاليم، والتقى بأساتذة الدراسات الشرقية والتاريخية والاجتماعية، وناقشهم في أقوالهم وآرائهم في الإسلام، كما ناقش غيرهم من الشخصيات السوفييتية فكشف لهم أخطاءهم ووضح لهم رأيه صريحاً في موقفه من الشيوعية في البلاد العربية، كما شرح لهم مواقف الشيوعيين في البلاد العربية من القضايا الوطنية والاجتماعية وفضح أخلاقهم وأساليبهم .[1]

هذا الجهد الكبير للشيخ مصطفى السباعي كان في سبيل إيضاح دعوة الإسلام في سائر أقطار العالم، و بيان ما لصق به من تشويه وزيغ، في ظل ظهور حركات غربية معادية للإسلام وأهله.

3 – نشاطاته العلمية :

لقد آمن الشيخ مصطفى السباعي بدوره في أمته كمصلح ورائد من رواد الدعوة المحمدي، وعمل بقول النبي ﷺ:"مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ عِلْمٍ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَالْحُوتَ فِي الْمَاءِ لَتَدْعُو لَهُ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، الْعُلَمَاءُ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ

1 أعضاء ملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في ترجمة العلماء وطلبة العلم المعاصرين ، مرجع سابق ، ص347 .

يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ، فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» [1]، فسعى إلى نشر العلم وتربية الناشئ على جملة من الأخلاق والقيم والمبادئ السمحة التي تزرع فيهم حب الخير والعمل على النهوض بحال الأمة الإسلامية، فحت قبل الدكتوراه بدا عمله كمدرساً للدين واللغة العربية في بعض ثانويات حمص، وقد اقبل على ذلك المسلك بنشاط وإيمان، وكان على أتم اليقين بأن إصلاح التعليم هو المنطلق الرسمي في إصلاح الفساد الداخلي وتربية الأمة من جديد، وقد نهج في ذلك منهج الإخوان المسلمين الذي يعنى بتربية الفرد المسلم، ثم الأسرة المسلمة، ثم المجتمع المسلم، لتكون الثمرة قيام الحكومة المسلمة التي تحكم بشرع الله وتنفيذ أحكامه وترعى مصالح البلاد والعباد، وتقضي على الشر والفساد وتحارب الزيغ.

ثم انتقل إلى دمشق فعمل مع فئة من إخوانه على إنشاء مدرسة تحقق ما يصبو إليه من أهداف في التربية والتعليم، فأسس (المعهد العربي) في دمشق الذي انضمت إلى إدارته فيما بعد جمعية التمدن الإسلامي، فأصبح الاسم (المعهد العربي الإسلامي) ، ولم يقتصرو ا على إنشاء هذا المعهد في دمشق بل فتحوا له فروعاً في أكثر المحافظات، وكان السباعي أول مدير لهذا المعهد الذي خرّج في زمانه طلاباً كانوا خيرة ما أنتجته المدارس في سورية.

وفي عام 1950 عيّن السباعي أستاذاً في كلية الحقوق في دمشق، فكان من ألمع الأساتذة في فن التدريس وخصب الإنتاج العلمي. وقد فكر في إنشاء كلية خاصة مستقلة للشريعة الإسلامية، على أرفع المستويات العلمية والفكرية، فنجحت مساعيه رغم العراقيل والصعوبات وتم تأسيسها عام 1955، وكان أول عميد لها إلى جانب قيامه بالتدريس في كلية الحقوق واضطلاعه بكافة المسؤوليات العامة الملقاة على عاتقه كداعية وكصاحب فكرة ، لينطلق بها في طريق النمو والعمل والتعمق، حتى أصبحت على حداثة عهدها في طليعة الكليات تقدماً في ميدان العلم، وتأثيراً في أوساط المجتمع، وكان لها بمثابة الأب الحاني يقدم إليها كل يوم جديداً من التضحيات، وكان يرى أن مناهج كلية الشريعة لا يجوز أن تقتصر على تلقين العلوم الجافة، وأن غاية الكلية ليست تخريج العلماء والفقهاء فحسب، وإنما كان يريد أن يكون خريجو الشريعة علماء ودعاة، لذلك عني بمناهج

1 أخرجه: أبو محمد الحسين الشافعي ت 516هـ؛ شرح السنة؛ تحقيق: شعيب الأرنؤوط –محمد زهير الشاويش، ج 01(ط:02؛ دمشق- بيروت: المكتب الإسلامي، 1403هـ- 1983م)، باب: فضل العلم، ص 276 .

التربية والتعليم والتوجيه في الكلية ، ومن أبرز ما أضافه فيها هي تلك القاعة التي أسماها (قاعة البحث)، والتي كانت بمثابة خزان للمواهب والطاقات التي تخرجت من الجامعة، وساهمت في توسيع آفاق المعرفة لدى طلبة العلم.

كما سعى مع إخوانه العاملين في ميدان الفكر والدعوة على توسعة سلطان الفقه الإسلامي لتيسير السبل الكفيلة بتقريبه من متناول القانونيين والعاملين في نطاق التنظيمات القضائية والحقوقية فانبثقت فكرة إيجاد (موسوعة الفقه الإسلامي) [1]، فبدا العمل من داخل كلية الشريعة ولكن المشروع كان اكبر من طاقة هذه الكلية والجامعة عموماً، إذ لابد من توفير مساندة دولية تتعهد بالمخصصات المالية اللازمة، ومع دخول المنطقة في عهد الوحدة السورية المصرية، توقع الناس الدخول في فترة تنعم بها البلاد بحلة جديدة، وتناسي إخوان سورية جراحهم التي انزلها الحكم السابق ورجالها في مصر فتقدم الشيخ مصطفى السباعي إلى جمال عبد الناصر يدعوه إلى تبني أمر الموسوعة على اعتبارها من أهم الأعمال التي يستطيع تحقيقها، واستجاب للاقتراح أول الأمر... ثم توقف العمل الذي لم يشأ الله إتمامه لأمر هو اعلم به.[2]

4 - نشاطه الصحفي:

بدأ مجاله في الصحافة مبكرا وهذا بعد تأثره بمجلة الفتح لشيخه الكاتب والمجاهد محب الدين الخطيب، والذي فتح له أبواب الكتابة فيها لأنه وجد فيه ذلك الكاتب الرصين، ذا الفكر العميق فباشر الكتابة على صفحاتها ليكتب فيها المقالات الحارة ذات الوهج المشتعل منذ عام 1933م-1934م، عن القضية الفلسطينية،وعن مآسي الاستعمار في سوريا ولبنان والعراق، هذا كله أهله ليقود معركة الصحافة والإعلام بنفسه، ويبدأ في إنشاء أول جريدة تحت مسمى " المنار" [3] أين ظهر

1 هو عمل علمي، سعى من خلاله الشيخ مصطفى السباعي إلى ضم مختلف المذاهب و الآراء الفقهية بأسلوب علمي معاصر ليسهل على الباحثين و رجال التشريع والقانون الرجوع إلى الثروة الفقهية الإسلامية الموزعة في بطون الكتب و المراجع القديمة، أنظر: مصطفى السباعي الداعية المجدد،مرجع سابق، ص 428.

2 محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، مرجع سابق،ص 397.

3 اقتبس هذا الاسم من الشيخ محمد رشيد رضا الذي أسس مجلة ومطبعة بهذا الاسم ، بل كتب تفسير للقرآن الكريم يحمل هذا الاسم:(تفسير المنار) ويمكن عدّ(المنار) مدرسة سلفية إصلاحية عوّل فيها الشيخ رشيد رحمه الله على منهج الإمام محمد عبده و أفكاره الإصلاحية، أنظر: مصطفى السباعي الداعية المجدد ص217 .

العدد الأول في يوم 1946/06/22م في دمشق ، لتكون لسان حال جماعة الإخوان المسلمين في سوريا، في أربع صفحات وعرفها بأنها :" جريدة يومية سياسية تصدر في دمشق" [1]،فكانت جريدة الدعوة يومئذ بامتياز، فمن خلالها كان يحرك الجماهير بالكشف عن محاذير المسلك غير الإسلامي وبافتتاحياته البليغة بل الساحرة، أين كان يناقش المساندين لتجريد الدستور من اللون الإسلامي باسم العلوم الدستورية، فيرد بالحجج القانونية، التي لا ترد دعاواهم الباطلة التي توهم الجاهلين وأنصاف المتعامين بصحة مزاعمهم، فكان يستقطب كل يوم أفواجاً من المؤيدين للاتجاه الإسلامي، بعد أن كانوا من المعارضين له، أو المترددين بشأنه، حتى ليرتفع ثمن العدد الواحد بسبب هذه الافتتاحية إلى أضعاف اضعاف ثمنه.[2]

بعد الانقلاب العسكري الذي قام به الزعيم حسني الزعيم[3]، والذي فتح به الانقلابات العسكرية في البلاد العربية، فعطلت الصحيفة عام 1949م .

وبعد عودتها إلى الحياة الدستورية في أعقاب الإطاحة بالعقيد أديب الشيشكي بنحو عام عاد السباعي إلى الساحة الإعلامية ليبدأ العمل في ميدان الصحافة من جديد وهذا بإصدار جريدة" الشهاب" الشهرية و التي كان أول أعدادها يوم 1955/02/06م، وكان السباعي مشرفاً على تحريرها وسياستها العامة، وكتب فيها كثير من المقالات وشارك في تحرير أكثر من باب مثل (في مدرسة الروح) و(عظماؤنا في التاريخ)، ولكن ما لبثت أن توقفت هي كذلك في 1957/9/18م

1 سالم أحمد المسالمة، " مصطفى السباعي الداعية الرائد والعالم المجاهد"، بحث منشور على شبكة الإنترنت (www.alukah.net) ، تاريخ التصفح:2017/04/10م .

2 محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، مرجع سابق، ص 398.

3 حسني ابن الشيخ رضا بن محمد بن يوسف الزعيم: (1315 - 1368 هـ = 1897 - 1949 م) ثائر سوري، من أهل دمشق، من القواد العسكريين. حكم سورية حكما مطلقا مدة 136 يوما. تعلم في المدرسة الحربية بالآستانة. وقبل أن يتم دراسته جعل من ضباط الجيش العثماني، ثم الجيش الفرنسي أيام احتلال سورية. وترقى في عهد استقلالها إلى رتبة (كولونيل) وتولى رئاسة أركان الحرب في عهد الرئيس شكري القوتلي .أنظر: كتاب الأعلام، خير الدين الزركلي (ط: 15، لا.م: دار العلم للملايين، مايو 2002 م) ص228.

وهذا بسبب المشاغل والمتاعب والمرض والأسفار التي تعرض إليها السباعي، ولكن مساعيه في بقاء صوت الحق قائم عبر الصحافة لم يتوقف، حين شرع في تجديد دماء مجلة (المسلمون) والتي تم توقيفها في مصر، لتصدر من دمشق على نفس الطرح و الأسلوب، وتحولت بعد ذلك إلى مجلة (حضارة الإسلام) الشهرية التي ظل قائماً عليها حتى توفاه الله رحمه الله تعالى.[1]

5 – نشاطه السياسي :

لم يكن مصطفى السباعي ذلك المصلح الذي يكفي بكتابة بعض المقالات في صفحات الجرائد والمجالات، أو ذلك الذي لا يجيد إلا بعض الكلمات على المنابر أو في الساحات، بل كان حاضر في جميع الجبهات والتظاهرات، ففي عام 1949 وبعد انحسار الانتداب الفرنسي عن سماء سوريا شرع السوريون في تنظيم قواعد الدولة، بإقامة المؤسسات الدستورية الضرورية، "فاقتضى ذلك إجراء انتخابات تقدم البلاد بها ممثليها لوضع قانونها الأساسي، وكان رجال العمل الإسلامي في دمشق ألا يغيبوا عن هذه المناسبة، التي كان لهم الفضل الأكبر في قيادة البلاد إليها، فقرروا خوض الغمرة بطائفة من الرجال الموثقين، ليشاركوا في توجيه المستقبل ضمن الخط الإسلامي، وقدر الله النجاح لهؤلاء بالكثرة من الأصوات، وفي مقدمتهم الرجل الذي عرفته سورية كلها من خلال نشاطه الذي حرك الخامد من العقول والضمائر" .[2]

وسرعان ما لمع نجم الفقيد داخل المجلس التأسيسي كما كان خارجه، فاختير نائباً لرئيسها،و كان أحد التسعة الذين عهد إليهم بوضع مسودة الدستور.

يرى الشيخ مصطفى السباعي أن الاشتغال بالسياسة هو من صميم دعوة الإخوان، الذين يرؤون أن السياسة جزء من دعوة الإسلام، وهنا يقول السباعي:" ليس الإخوان المسلمون حزباً سياسياً بالمعنى المفهوم من كلمة (حزب) في عرف الناس، وإنما دعاة إسلام، آمنوا به على انه رسالة الإنقاذ والتحرر والقوة والحضارة، واعتنقوها على هذه الأسس، ونادوا بها في الناس بهذا المفهوم ونذروا

1 محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، مرجع سابق، ص399.

2 محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، مرجع سابق، ص397.

أنفسهم لتحقيقها في المجتمع كرسالة سامية لأبناء الوطن جميعاً، وبذلك لم يسعهم إلا أن يساهموا في الحركات السياسية، لا غاية يسعون إليها، بل وسيلة لتحقيق فكرة الإسلام التي آمنوا بها"[1].

وهكذا تم تحقيق مراد هذه الجماعة الإسلامي في سوريا، على يد قائدها مصطفى السباعي وإخوانه بشجاعة قاهرة وعزيمة باهرة، حتى تمكنوا من استبعاد الطابع العلماني عن الدستور، وتثبيت اللون الإسلامي على معظم أحكامه الأساسية.

عكس ما نراه اليوم من بعض الحركات الإسلامية و التي جعلت من الإسلام شعار في التغيير و الإصلاح، في حين نجدها تسعى إلى السلطة والحكم و الصراع عليها.

6 – نشاطه حول القضية الفلسطينية:

تحدثنا سابقا عن الظروف التي نشأ فيها الشيخ السباعي والتي كانت بدايات انهيار الدولة العثمانية، ودخول بعض الدول العربية تحت وطأة الاستعمار الأوروبي، والذي جعل من هذه دول إرث تقاسمته فيما بينها، ولعل من أبرز هذه الدول التي ذهبت ضحية ووعود زائفة لدول الكبرى فلسطين وقضية العرب والمسلمين المركزية وهنا نجد أن الشيخ مصطفى السباعي كان من أبرز الشخصيات الذي جعل من هذه القضية جوهرة دعوته وأساسها، فهو الزعيم القائد الذي قرن القول بالعمل،وقد ورث هذه القضية من والده المجاهد الثأر في وجه الظلمة والظالمين، فقد كانت بدايات جهاده وكفاحه بقلمه وكلمته القوية حول ما يجب أن يكون اتجاه قضيتنا، ونجد أن من أول مقالاته التي كتبها في مجلة الفتح كانت بعنوان(مأساة فلسطين)، وقد استهلها بقوله:" مأساة الأندلس تمثل مرة ثانية على مسرح الحياة في تاريخ العرب والإسلام، تلك هي مأساة فلسطين " [2]، وقد وصف فلسطين في موضع آخر على أنها قلب العرب النابض، ومفتاح جزيرة العرب، وأن كل ذرة من أرضها امتزجت بقطرة من دماء أجدادنا الطاهرين، وكتب حول ما اجتمع عليه اليهود في دعمها للهجرة إلى فلسطين وجعلها موطن لهم، ومن جهة أخرى التقاعس والركود العربي حول ما تعانيه هذه الأرض المسلمة، وبل وحتى ما وصلت إليه من نزاع وتفرقة حتى على مستوى الداخل الفلسطيني في حين يتم تجسيد المشروع التهويدي على قدم وساق، وفي هذا يقول:" كل يهودي على وجه الأرض يحنو على

1ينظر: عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد، مرجع سابق، ص155.

2 عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد، مرجع سابق، ص182.

الصهيونية في فلسطين، ويمدها بما يقدر عليه من مال أو نفس أو بيان أو دعاية "، وقال أيضا عن الجهود اليهودية في تكوين جيل يؤمن بوطنه القومي على الأراضي الفلسطينية بقوله: "ثم هم يغرسون مبادئها في نفوس أطفالهم منذ الصغر؛ ولقد كنت مرة أجتاز كوبري النيل بالقاهرة، فشاهدت- كما شاهد غيري- فرقة من كشافة اليهود وهي تتجول في تلك الأنحاء، وهي تنشد أنشودة الأمل – أمل الاستيلاء على فلسطين من أيدي العرب- ينشدون هذا جهرة وعلى مسمع أبناء مصر، وهم أطفال لا يعرفون من الحياة شيئاً. أما العرب والمسلمون فمن كان منهم خارج فلسطين فقلّ أن تجد منهم من يبلغ عطفه على فلسطين إلى حد تكون له نتيجة"[1].

في حين نجد أن هذا الركود والتقاعس مزال قائماً إلى يوم الناس هذا، وفي وجود تطبيع رؤوساء العرب مع الكيان الصهيوني.

كما تعاهد الشيخ السباعي نفوس أهل دمشق نفسياً، وهذا عندما انطلاق السباعي بالعمل من مدينة دمشق، فألقى في مقر(الشبان المسلمين) في باحة مسجد الدرويشية أول محاضرة عن فلسطين .. وانتهت هذه المحاضرة – التي نشرتها كاملة جريدة" القبس" الدمشقية- بحماسة شديدة من الحاضرين، خرجوا على إثرها- كما يروي الأستاذ السباعي نفسه رحمه الله :" في مظاهرة كبرى تهتف لفلسطين، وتدعو إلى العمل من أجلها..."؛ ثم انتقل السباعي يعد ذلك إلى جميع المدن السورية يشرح للجماهير خطورة الوضع الذي آلت إليه القضية الفلسطينية، والمخاوف التي تحيط بمستقبلها.

يقول السباعي:" حتى اتهمني الغافلون عن حقائق الأمور في فلسطين بأني أبالغ كثيراً فيما أسرده من حقائق"[2].

ولما وضعت الحرب الثانية أوزارها انتظم عمل الإخوان المسلمين لفلسطين- بقيادة السباعي، على العمل في ثلاثة ميادين أساسية وهي :

الصعيد الرسمي: بتقديم المذكرات للحكومة وللجامعة العربية .

الصعيد الشعبي: بالمحاضرات و الاجتماعات العامة في المدن والقرى .

الصعيد العلمي: حيث أرسل الإخوان بعض شبابهم ليزوروا فلسطين، ويطلعوا بأنفسهم على أحوال اليهود فيها، فزاروا يافا وتل أبيب وحيفا والقدس وكثيراً من المستعمرات اليهودية.

1ينظر: المرجع نفسه، ص183.

2 عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد، مرجع سابق، ص189.

وعند بداية النكبة عام 1948م، نهض الشيخ مصطفى السباعي مستجيباً لداعي الجهاد، يقود كتائب الإيمان إلى قلب فلسطين واختار مجال عملها منطقة القدس، "حيث حققت أروع البطولات في قتال لم تشهد شوارع بيت المقدس له مثيلاً قط..." [1]، ومع إجهاض عملية الجاهد في فلسطين بخضوع الحكومات العربية للهدنة المفروضة، وإكراهها المجاهدين على التراجع عن الأرض الحبيبة، لم يتوقف السباعي عن طريق الواجب، لينتقل إلى جهاد من نوع آخر وهو جهاد البيان والكلمة، فنطلق يكشف للناس المؤامرة الكبيرة والمخططين لها والضالعين معهم، ومزال يكافح في هذه السبيل حتى استطاع إقناع المسئولين بإدخال القضية الفلسطينية كمادة دراسية في مناهج التعليم،كي تؤرخ لتاريخ القضية للأجيال اللاحقة .

المطلب الثالث : مواقفه

1 – موقفه من التصوف :

لقد عايش الشيخ مصطفى السباعي كثير من المتصوفة في وقته، وكان يتحدث مما يرى منهم من أعمال، فكان يكتب على –صفحات مجلته (حضارة الإسلام)– لمحة عن التصوف الذي نشأ لتهذيب النفس وتصفية الروح .. فانقلب إلى طقوس ورموز ورهبانية بعيدة عن روح الإسلام، ثم تحدث عن الآفات التي عرضت للتصوف، فأفسدت صفاءه، وجعلت منه أداة من أدوات الهدم للمجتمع الإسلامي وللحضارة الإسلامية؛ وقد حدد هذه الآفات في ثلاثة مواضع وهي:

أ – الأخذ بمفاهيم أعجمية للأخلاق الإسلامية: من ترك الدنيا والفرار من العلم والعمل.. بل اللجوء إلى حياة التسوُّل (والشحاذة) في بعض الأحيان، وهكذا فسد معنى التوكُّل ومعنى الصدوف عن تعلُّق القلب بمفتن الدنيا مع الأخذ منها بنصيب.فأصبح كسلاً وتواكلاً، وتركاً للدنيا في الظاهر مع تعلُّق بها في الباطن .

ب – اعتماد الصوفية على القسم الأخلاقي في الإسلام وإعراضهم عن القسم التشريعي"، حتى كان كثير منهم يرى أنَّ العناية بالأحكام، وقد سموها علم الظاهر، يصدوهم عن (علم الباطن)، فأستُغلَّ هذا أسوأ استغلال" من قبل الزنادقة والشعوبيين وأعداء الإسلام، حيث نشروا بين جماهير الصوفية، عقائد باطلة يصل بعضها إلى حد إسقاط التكاليف الشرعية

1 محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، مرجع سابق، ص400.

عمَّن بلغ درجة معيَّنة عندهم، ونشأ عن ذلك أن جعلوا للتصوف حدوداً ورسوماً وتنظيمات أشبه ما تكون بالتنظيمات الكنسية، وجعلوا الشيخ بمثابة النبي، وأحياناً الإله بالنسبة إلى المريد(التلميذ) حيث حرموا عليه أن يشك في أي تصرف للشيخ ولو كان مخالفاً للشريعة.

ث – استغلال التصوف للدنيا" وأكل أموال الناس من المريدين وغيرهم، مع التظاهر بالورع و الدعوة إلى الزهد .[1]

ويرى الأستاذ السباعي أنَّ انتشار التصوف بهذه الآفات في العصور المتأخرة تسبب في " انهيار المجتمع الإسلامي وتخلفه عن مسايرة ركب الحضارة ، أو في الركود وانطفاء الفاعلية الذي أصاب المجتمعات الإسلامية والعقل الإسلامي– حتى " وقع في أنياب المستعمرين الذين كثيرا ما استغلوا أولئك المشايخ الدجالين لتخدير الجماهير و إقناعهم بالرضوخ للاستعمار، كما يُعلم ذلك من تاريخ البلاد الإسلامية في القرنين الأخريين"[2] .

و أرى أن هذا ليس حكماً عام للتصوف فقد نجد بعض الحركات الصوفية التي لعبت دوراً بارزاً في مقاومة الإستعمار وتشجيع الشباب على ذلك، كما كانت لها إسهاماتها في نشر الدعوة الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم في الأربطة و الزوايا المختلفة والمساجد.

2 – موقفه من البدع و الخرافات :

كان يرى أن البدع والخرافا ت من أسباب ضعف العمل الدعوي وانهيار قيم المجتمعات، ونجد ذلك من خلال ما كان يبثه من حلقات على أمواج الإذاعة عبر برنامج (من أحاديث الدعوة)[3] وتوزع على الجماهير الشعب في كراريس مطبوعة؛ ولا شك أن مكافحة البدع هو أول طريق الإصلاح للجيل المسلم الذي لا أمل له بالنصر إلا عن طريق الالتزام بحقائق الإسلام.

1عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد، المرجع السابق، ص442.

2 عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد، المرجع السابق، ص 443.

3 محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، مرجع سابق، ص409.

3 – مواقفه السياسية :

اعتبر الشيخ مصطفى السباعي السياسة جزاء لا يتجزأ من الحياة، لأنها العمل الذي يتولى الجانب الأكبر من قيادة المجتمع، فلا سبيل إلى عزله عن مجال المصلحين، إذ لا سبيل إلى تحديد منطقة كل من المصلح الاجتماعي والقائد السياسي في حياة الشعوب، وهكذا بدأ الشيخ السباعي نشاطه السياسي مطلع شبابه، أيام كان يرسل خطبه الأولى من على منبر الجامع الكبير في حمص بلد ابن الوليد، ثم مضى يحمل قسطه في عملية النضال ضد الاحتلال الفرنسي ووسائله المختلفة، فقاوم مدارس التبشير بالمنشورات الدامغة، وشارك في التظاهرات الوطنية لمكافحة الاستعمار .

وفي مصر شارك في إثارة الوسط الأزهري ضد الاحتلال الإنجليزي، وأثناء الحرب العالمية الثانية عمل مع المؤيدين لثورة رشيد عالي الكيلاني[1] لتحرير العراق من الإنجليز.

4 – موقفه من الانقلاب :

لقد كان للشيخ السباعي موقف جاد وحازم اتجاه قضايا أمته ووطنه، وكان يرفض الظلم والتسلط الذي اصطنعه بعض الطغاة من أجل التربع على عرش الحكم، ومن بين هؤلاء الطغاة نجد لسباعي موقف مع الزعيم أديب الشيشكلي الذي قام بانقلاب على الحكومة القانونية في سوريا، فقام السباعي بالتوسط بين الانقلابي والرئيس المسجون في ذلك الوقت "الدكتور معروف الدواليبي" وجاهد لإقناع الشيشكلي بتصحيح موقفه، حتى إذا استيأس من ذلك عالنه العداء فضمه إلى صديقة الدواليبي في سجن المزة، ثم بعد مدة أفرج عنه واستدعاه، وجعل يحاوره معتذراً إليه عما أسلفه نحوه محاولاً إقناعه بالتعاون معه على اعتبار أنه مسلم لا يريد بالإسلام إلا خيراً، ولكن الفقيد كان أكبر من محاولة الشيشكلي، فافهمه أن الإسلام يقتضيه أن ينسحب من الحكم ويتركه للهيئات الدستورية

1 بعد نجاح حركة الجيش في 27 ذي الحجة 1377هـ ، طلب رشيد عالي الكيلاني بدخول العراق فسمح له، وبدا بعده في إعداد انقلاباً في 28 جمادى الأولى و أن شيوخ قبائل الفرات الأوسط هم الذين سيشعلون نار الثورة وقد تورط في هذا العمل كل من عبد الرحيم الراوي، ومبدر الكيلاني ابن أخي رشيد، ولكن العملية لم تنجح ليتم إلقاء القبض عليهم .أنظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ج11(ط01، بيروت- دمشق –عمان : المكتب الإسلامي، 1416هـ- 1996م) ص340.

ولا مكان للتعاون بينهما إلا على هذا الأساس، فسقط في يد العسكري، وأبلغه تصميمه على البقاء، وعلى ألزمه بيته، ثم رأى أن سوريا لا تتسع للاثنين فأمر بإخراجه منفياً إلى لبنان .

5 – مواقفه من بعض القضايا الإسلامية و العربية :

لما نتحدث عن موقف الشيخ مصطفى السباعي اتجاه بعض القضايا العربية والإسلامية، وهو نفس موقف جماعته الإخوان المسلمون في سوريا، فقد أيدوا مصر في قضيتين رئيستين وهما : " الجلاء" و" وحدة وادي النيل"، وكان هذا التأييد بوسائل مختلفة كالبرقيات والمحاضرات والمقالات والمؤتمرات في الأندية والمساجد، والاجتماعات الشعبية في المدن و القرى، والاقتراحات في الندوة النيابية، كما أثار الإخوان المسلمون في مذكرة رفعوها إلى مجلس الجامعة العربية المنعقدة في دمشق بتاريخ 09 شعبان1370هـ الموافق 1951/05/15م قضية الإمارات العربية المتحدة على خليج الفارسي، وطالبوا الجامعة بوجوب العمل لتحريرها واستقلالها.

أما القضايا الإسلامية فقد كان تأييد غير منتهي لأهم القضايا التي تواجه بعض الدول الإسلامية وهذا تأكيداً لروابط الإخاء بين البلاد العربية والأقطار الإسلامية، ومن منطلق" أن إحكام الصلات والتعاون مع هذه الأقطار قوة كبيرة للقومية العربية وللوطن العربي" [1]، على حد تعبير الأستاذ مصطفى السباعي، ومن بين أهم القضايا التي أيدها الإخوان المسلمون، قضية اندونيسية في كفاحها مع هولندة بمؤتمر عام عقدوه في مركز الإخوان بدمشق، كما كان هناك تأييد لدولة باكستان في كشمير حيث كان لهم يد في إرسال برقية المجلس النيابي السوري موقعة من خمسين نائباً من ألمع نواب المجلس ومختلف أديانه وأحزابه إلى مجلس الأمن بتأييد حق باكستان في كشمير، وهو أول عمل من نوعه في المجالس النيابية في البلاد العربية، كما شارك الإخوان المسلمون في المؤتمر العالمي الإسلامي الثاني في كراتشي، وكان لهم الفضل في صياغة قراراته الخطيرة .

1 عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد، مرجع سابق، ص177.

المبحث الثالث: آثاره وفاته وأهم ما قيل فيه

المطلب الأول: مؤلفاته

إن نشاط الرجل وتفانيه الميداني في خدمة قضايا بلده وأمته، كانت سبب في عدم انشغاله بمجال التأليف، وكان في بعض الأحيان يشتغل حتى عن خاصة نفسه، "فهو الذي لم يتزوج إلا بعد ،أن تجاوز الخامسة والثلاثين".[1]

ولكنه استطاع أن يعطي لهذه الأمة موروث علمياً زاخرا، من خلال كتابته التي كتبه سواء في صحته وهي الجزاء القليل منها أو في فترة مرضه وراحته والتي كانت أخصب أيام حياته، وأكثرها إنتاجاً من الناحية العلمية، وهنا يقول الدكتور محمد أديب الصالح:" كان السباعي حريصاً كما علمت منه قبل وفاته بيوم واحد على كتابة مؤلفات ثلاث هي: العلماء الأولياء، العلماء المجاهدون، العلماء الشهداء" [2] وهنا يتبين لنا حرص الأستاذ على التأليف في أواخر حياته .

تعددت مؤلفات الشيخ مصطفى السباعي لتشمل مجالات عدة وأبعاد مختلفة بين الدين والحياة والسياسة والتربية و الثقافة..، ومن بين أهم هذه المؤلفات نذكر:

أول تأليف لها كان في السنة النبوية برسالته المشهورة " السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي"، وقد تم كتابتها في ظروف صعبة جداً، وهذا بشاهدة إخوانه وأصدقائه، "..حين اضطرته تلك الظروف وهو يجمع المادة العلمية للموضوع أن يغادر الشقة إلى مكان آخر، حيث لا يجد المراجع إلا بصعوبة، ويتصل ببعض أساتذته بصعوبة أشد، لا يحجز الأذى عنه ومخاطر الاتصال إلا عناية الله.. ولم يطبع الكتاب طباعة رسمية، وإنما خرج رسالة للأستاذية يومذاك – الدكتوراه– في الأزهر على الآلة الطابعة"[3].

1عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد، مرجع سابق، ص352.

2 عبد الله العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، مرجع سابق، ص1160.

3 ينظر: عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد، مرجع سابق، ص354.

وقد تم كتابة هذه الرسالة دفاعاً عن السنة النبوية من المفترين، والشبهات والمطاعن التي أثارها محمود أبو رية[1]،عوّل فيها على آراء الشيعة والمعتزلة والمستشرقين، وقد بين موقف هؤلاء وأمثالهم من السنة.

أما بقية كتبه فهي :

01- أحكام الزواج .

02- أحكام الأهلية والوصية.

03- أحكام المواريث.

04- الوصايا والفرائض.

05- أخلاقنا الاجتماعية. طبع مرات متعددة،الأولى عام 1375هـ.

06- اشتراكية الإسلام. ألفه عام 1959م طبع ثلاث مرات.

07- أحاكم الصيام وفلسفته.

08- نظام السلم والحرب في الإسلام.

09- الدين والدولة في الإسلام.

10- مشروعية الإرث وأحكامه في الإسلام.

11- المرونة والتطور في التشريع الإسلامي.

12- القلائد من فرائد الفوائد، طبع عام 1962م.

13- هكذا علمتني الحياة، ألفه عام 1962مطبوعمرتين.

14- المرأة بين الفقه والقانون، طبع مرتين الأولى عام 1962م، والثانية عام 1966م.

15- من روائع حضارتنا،طبع مرتين الأولى عام 1959م. والثانية عام 1968م.

1محمد بن عبده بن حسن خير الله، إمام فقيه، مفسر، متكلم، أديب لغوى، كاتب صحافي سياسي، له باعه الطويل في مجال الإصلاح العلمي، والاجتماعي، ولكنه مع هذا كان قليل البضاعة في الحديث، وكان يرى في الاعتماد على المنطق والبرهان العقليين، خير سلاح للدفاع عن الإسلام، ومن هذين العاملين، وقعت له آراء في السنة ورواتها، وفى العمل بالحديث، والاعتداد به، ما صح أن يتخذه مثل محمود أبو ريه، وأحمد صبحي منصور، والسيد صالح أبو بكر، وغيرهم من أعداء السنة، تكأة يتكئون عليها، في تشكيكهم وطعنهم في السنة المطهرة. من مؤلفاته: رسالة التوحيد، وشرح نهج البلاغة، وغير ذلك مات سنة1905م،

أنظر: عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى، رد شبهات حول عصمة النبى صلى الله عليه وسلم فى ضوء السنة النبوية الشريفة،(لا.ط، لا.م، د.ت،)، ص 343.

16- الأحوال الشخصية.

17- السيرة النبوية.

يجدر بنا إلى أن نشير إلى ثلاث كتب وهي"اشتراكية الإسلام"و المرأة بين الفقه والقانون"و" هكذا علمتني الحياة" والتي كتبها الشيخ مصطفى السباعي في أزمته الصحية التي ألمت به، حيث أن الأول والثاني هي عبارة عن محاضرات ألقاها على طلبة كلية الشريعة ثم جمعت في هذين الكتابين .

المطلب الثاني : وفاته

إن حياة الإنسان هي أيام معدودة يبدأ فيها العد التنازلي ساعة الولادة وينتهي ساعة الاحتضار وقد ورد في الأثر المقولة التالية " الناس نيام فإذا ماتوا انتبهو ا..."[1]، وهكذا كانت حياة أستاذنا مصطفى السباعي، فمنذ أن أصيب بمرض عضال الذي أرهقه كثيراً وتسبب له في آلام حادة حيث أن أعصابه وعضلاته لم تفارقها التشنجات المستمرة وهذا بسبب النوبات التي تعاوده بين الفينة والأخرى، وقد اجمع الأطباء على أن هذا الإرهاق الشديد التي تتعرض لها أعصاب الشيخ مصطفى السباعي والتي لم تعد تتحمل ذلك؛ وهنا ننقل ما قاله السباعي عن حالته هذه فيقول:" وقد صبرت أعصابي على إرهاقي لها بضع عشرة سنة حتى ناءت بحمل ما أحمِّلها من همومٍ وأحزان، فكان منها أن أعلنت احتجاجها بإيقافي عن النشاط والعمل إيقافاً تاماً بضعة شهور، ثم استطعتُ بعدها أن أعود إلى نشاطي الفكري في التدريس والتأليف برغم إلحاح الأطباء عليَّ بترك ذلك، ولكني لم أستطع إتّباع نصائحهم لظروفٍ شتّى لا قِبل لي بدفعها.."[2]، ومع مرور الوقت بدأت حالته تدهور شيئاً فشيئاً وقد وصل إلى السنة السابعة من مرضه أين ذهب إلى الحج للمرة الرابعة والأخيرة عام 1384هـ-1964م، وهنا تتنزل عليه راحمت المولى عز وجل في تلك الرحلة المباركة حيث يروي لنا بنفسه تحسن حالته فيقول: :" .. لقد قدمت مكة المكرمة، فطفت طواف العمرة محمولاً على المحفة، ثم غادرتها وطفت طواف الوداع على قدمي، وأكرمني الله بزوال آثار مرض السكر منذ وصلت المدينة المنورة

1 أخرجه: أبو الفضل البغدادي ت 381هـ، حديث الزهري، تحقيق: الدكتور حسن بن محمد بن علي شبالة البلوط، ج01(ط01، الرياض: أضواء السلف، 1418 هـ - 1998 م) ص 670.

2 مصطفى السباعي، عظماؤنا في التاريخ.(ط: 03، القاهر: دار السلام للطباعة و النشر والتوزيع والترجمة، 1423هـ - 203م)، ص04.

فكنت أتصبح بسبع تمرات من تمرها، إيماناً مني بالحديث الصحيح الوارد في التمر وهو من الطب النبوي"[1].

وهو على فراش المرض لم يكن الشيخ مصطفى السباعي يشتكي أو يتذمر من حالته تلك، بل كان صورة رائعة ومميزة في الصبر والرضاء بقضاء الله وقدره، وهنا نحكي رواية أحد أصدقائه وهو يزوره في سرير المستشفى مواسياً له على ما أصابه فكان جواب الشيخ صاعقاً له:" إني مريض أتألم ليس في ذلك ريب، وإنك لتشاهد الألم على وجهي وعلى يدي وفي حركتي، ولكن انظر إلى حكمة الله فيَّ، إن الله قدير على أن يشل حركتي وقد شل بعض حركتي ولكن انظر ماذا شل، لقد شل طرفي الأيسر وأبقى لي الطرف الأيمن فما أعظم النعمة التي أبقى لي: أكنت أستطيع أن أخط لو شل اليمنى مني؟".[2]

وفي ظهر يوم السبت 27من جمادى الأولى 1384هـ الموافق ل 03 أكتوبر 1964م[3]، ترجَّل الفارس المقدام، ورحل الرائد والأب، رحل القائد التاريخي إلى جوار ربه بمدينة دمشق بعد حياة حافلة بالجهاد المتواصل[4]، وقد شيعت جنازته من بيته في حي أبي رمانة بدمشق قبل ظهر اليوم التالي لوفاته وقد تجمع ألوف الشباب في الشوارع والساحات المحيطة ببيته منذ الصباح الباكر وسط البكاء والأنين ليمضوا به إلى جامع بني أمية محمول على الأكتاف، حيث صُلي على جثمانه الطاهر بعد صلاة الظهر، وسط جمهرة غفير من إخوانه ومحبيه وتلاميذه الذين بكوه بكل حرقة وبكته دمشق وسوريا كاملة، وكانت جنازته مهيبة بكل ما تحمل من أوصاف فلم تشهد دمشق ولا سوريا مثيلاً لها، ليرحل القائد والخطيب، والعالم المفكر، والأديب المنظرِّ، استراح الجسد ولكن هيهات لروحه المبثوثة في أعماله أن تعرف الراحة .

بعد وفاته لم تتوقف تأبينيات الأخوة والعلماء عن فقدان أحد ركائز الدعوة الإسلامية في سوريا فكانت هذه الكلمات المعبرة من بعض العلماء: الأستاذ محمد المبارك، الأستاذ محمد المجذوب

1 عبد الله العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، مرجع سابق، ص1161.

2 عبد الله العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، مرجع سابق، ص1162 .

3 جعلت سنة وفاته بالميلادي1967م، والصحيح (1964)، أحمد العلونة، نظرات في كتاب الأعلام، ص 150 .

4 عبد الله العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، مرجع سابق، ص1163.

الأستاذ مشهور حسن، الشيخ عبد الرؤوف أبو طوق، الدكتور محمد أديب الصالح، الشاعر محمد الحسناوي وغيرهم كثير .[1]

المطلب الثالث : أهم ما قيل فيه .

كان لرحيل الشيخ مصطفى السباعي وقع كبير وسط المفكرين والدعاة داخل سوريا وخارجه فقد اعتبرت وفاته خسارة كبيرة للفكر والدعوة الإسلامية، لترتد صداها في مختلف أصقاع البلاد الإسلامية والتي أعلنت الأسى وتوشحت رداء الحزن بفقدان هذا العالم الفذ والمجاهد الصبور والداعية النجم وهنا ننقل بعض ما قيل فيه من العلماء والدعاة :

❖ يقول العلاّمة الدكتور يوسف القرضاوي:

"الداعية الفقيه، الصابر المجاهد، صاحب الروح المشرقة، والبيان المغدق، والعقل المتفتح، الذي قاوم أعداء السُّنَّة فأسكتهم، ودعاة العلمانية فأفحمهم، مؤسس الحركة الإسلامية في سوريا، ومنشئ مجلة(حضارة الإسلام) وصاحب الكتب القيمة والرسائل النافعة الشيخ الدكتور مصطفى السباعي"[2].

❖ أما العلاّمة الكبير محمد أبو زهرة فيقول:

"إنني لم أرى في بلاد الشام، أعلى من السباعي همة، وأعظم منه نفساً، وأشد منه على الإسلام والمسلمين حرقة وألماً".

الأستاذ حسني أدهم جرار يقول في كتابه القّيم(مصطفى السباعي قائد جيل ورائد امة) :

" كان السباعي علماً بارزاً من أعلام الفكر والدعوة والجهاد في زماننا المعاصر، وكان منارة من منارات الإسلام الشامخة، ونموذجاً مشرقاً على امتداد تاريخنا الطويل، وكان عالماً متفتح الذهن، آتاه

1 عبد الله العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، مرجع سابق، ص1163.

2 ولد الدكتور في إحدى قرى جمهورية مصر العربية، قرية صفت تراب مركز المحلة الكبرى، محافظة الغربية، وهي قرية عريقة دفن فيها آخر الصحابة موتاً بمصر، وهو "عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي"، كما نص الحافظ بن حجر وغيره، وكان مولد القرضاوي فيها في 1926/9/9م وأتم حفظ القرآن الكريم، وأتقن أحكام تجويده، وهو دون العاشرة من عمره، أحد أعلام الإسلام البارزين في العصر الحاضر في العلم والفكر والدعوة والجهاد، في العالم الإسلامي مشرقه ومغربه، (المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين،ج:01، ص370).

الله علماً واسعاً، وذكاءً حاداً، وبديهة حاضرة، وأسلوباً في الحوار نادراً، وجرأة في الحق، وقدرة على التصدي للباطل وقوة في الإيمان، ويقظة في الضمير" .

❖ الدكتور عمر فروخ يقول:

"لقد عاش للإسلام في أوضح معانيه، وعمل للإسلام في زمن من أحلك أزمنه".

❖ الأستاذ محمد المبارك:

" لقد كان السباعي أستاذ جيل، وقائد رعيل، وباعث نهضة، وكان خطيب جماهير، ومصلحاً كبيراً، وكاتباً أديباً، ومؤلفاً منتجاً، وقلما تجتمع هذه الصفات في رجل واحد، وقد جمعها الله فيه" .

❖ الدكتور حسن هويدي يقول:

"إن القائد يُبكي إن فُقد بين القادة، فكيف لا يُبكى وقد ندر القادة؟ والقائد يُبكى إذا خلا مكانه، فكيف لا يُبكى إذا كان فريداً بين أقرانه؟ فالحزن عليك يا أبا حسان: حزن على فقد القائد وندرة القائد، ونوعية القائد".

❖ أما "الشيخ أبو الحسن الندوي"[1] فيذكر عن لقاءاته مع السباعي حين زار سورية عام 1951 فيقول:" لقد أعطاني الحاج محمد أمين الحسيني كتاب تعريف للشيخ السباعي وأثنى عليه ثناءً عاطراً فلما زرت مركز الإخوان المسلمين في السنجقدار بدمشق، كان لقائي الحار بالأستاذ السباعي.

1 ولد بقرية تكية، مديرية رائي بريلي، الهند عام 1332هـ/ 1913م، عالم رباني وداعية مجاهد وأديب تميز بجمال الأسلوب وصدق الكلمات، إنه الداعية الكبير ورباني الأمة، صاحب كتاب من أشهر كتب المكتبة الإسلامية في هذا القرن وهو كتاب "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"، (المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، ج:01، ص 31).

الفصل الثاني:

الفصل الثاني: أبعاد دعوة مصطفى السباعي من خلال مؤلفه "هذا هو الإسلام".

المبحث الأول : الأبعاد الفكرية و التربوية

المطلب الأول: منهجه في الإصلاح

لم تكن تمر ذكرى دينية أو وطنية إلا ويقف الأستاذ السباعي عندها، مستخلصاً أهم العبر وواضعا بذلك حجر الأساس في بناء نهضة عربية صالحة تستمد من الماضي دروسه وآياته،وبين أيدينا هذه الرسالة "منهجنا في الإصلاح"، والتي كانت بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف؛ ما يؤكد لنا ما ذكرناه، فقد رسم لنا الشيخ مصطفى السباعي بالمناسبة بعض الأبعاد التي وقف عندها خيرة الدعاة في بداية بزوغ فجر الإسلام، ووضح لنا صورة الواقع الذي عاش فيه، وكيف تعامل معه، لتكون لنا نحن الدعاة مصدرا ثرا وعظيما نقتدي بها في مسيرة الحياة اليوم.

01 -واقع الذكرى يومئذ:

لابد لكل داعية أن يدرك الواقع الذي يعيش فيه، معرفة يمكنه من تشخيص الداء بطرق سليمة حتى يستطيع أن يحدد الدواء الناجع لتلك العلل والمصائب التي يراها في طريق دعوته، وقبل الولوج في طرح الخطوط العريضة التي وضعها الرسول لمعالجة ذلك الواقع، نجد أن السباعي أبرز لنا أهم معالم تلك الحقبة في ثلاث نقاط مهمة :

أ - **تفكك داخلي** : تحدث فيها الشيخ مصطفى السباعي بإيجاز، عما ميز حياة العرب قبل الإسلام من مظاهر الفساد في العقيدة ، وانحلال الروابط الاجتماعية و انتشار المفاسد الخُلقية، ولتصوير لهذه الحالة التي كان يعيشها أهل مكة، نجد أن أبلغ و أصدق تصوير

كلام وصف فيه جعفر بن أبي طالب الهاشمي القرشيّ [1]، للحياة العربية و الأخلاق الجاهلية أمام النجاشيّ، وقد جاء فيه: " أيها الملك! كنّا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منّا الضعيف "[2]، فانحطّ المستوى الديني وتحكمت فيهم بعض العادات، كالعصبية والثأر "[3]، يضاف إلى هذا انعدام معنى الأمة أو الدولة وضعف الصلة بين أفراد هذا المجتمع الواحد .

ب - **عالم خارجي متمدن:** وهنا يشير إلى مكانة هؤلاء العرب مع غيرهم من الدول العظمى فقد كانت " أمة كادت تكون منعزلة عن العالم، قد فصلتها عن العالم المتمدن المعمور البحار من ثلاث جوانب، وصحراء من جانب، وكانت من الانحطاط والانقسام والضعة والخمول بمكان لا تطمع فيه حينا من الدهر إلى غزو البلاد، ولا تحلم بالانتصار على الدول المجاورة لها في المنام، ولا تحدّث به يوما من الأيام ، وفي الجانب الآخر سيطرة ونفوذ من طرف دولتي فارس والروم يومئذ سيدتي العالم، وزعيمتي الشرق والغرب، وقد أحاطت ممتلكاتهما بشبه جزيرة العرب، إحاطة السوار بالمعصم[4] ولكن داء الهرم قد كان سرى في جسم هاتين الدولتين، ففسدت فيهما الأخلاق و التاثت العقائد وتقطعت بين طبقاتها وشائج الرحمة و التعاون .

ت - **توثب نفسي عند العرب:** واستعداد فطري لتلقي الخير من خلال ما كانت تحمله شخصية العربي في ذلك الوقت، من قيم وأخلاق ومبادئ وأفكار تنتظر من يوجهها ويقود سفينتها نحو بر الأمان، لقد كانت أسلحة فتاكة ترقب محارباً وقائد يحسن استعمالها، لإصلاح الدنيا وتهديم عرش الفساد.[5]

1 نسبة إلى بني هاشم

2 أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية (ط:12؛ دمشق: دار ابن كثير؛ 1425هـ)، ص 147 .

3 محمد شيت خطاب، الرسول القائد(ط: 06؛ بيروت: دار الفكر؛ 1922م)؛ ص 75 .

4 أبو الحسن الندوي، إلى الإسلام من جديد(ط:04، دمشق: دار القلم للنشر و التوزيع، 1399هـ - 1979م)، ص 37 .

5 مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام.ج01 (ط: 01؛ بيروت- دمشق: المكتب الإسلامي، 1400هـ -1979م)، ص07.

02 - **معالجة الرسول لهذا الواقع:** لقد انطلق هذا النبي العظيم في بداية دعوته من هذا الواقع الذي سبق وأشرنا إلى أهم ملامحه، ونشأ وترعرع في أجواء عربية صعبة، انتشرت فيها كل أنواع المفاسد والآثام، وغلب فيها حكم القوي على الضعيف، ولكن حنكة الداعية المربي الذي تميز به النبي ﷺ، وما ألهمه الله من ذكاء العقل وسلامة التفكير وصفاء الذهن وبعد الهمة، إضافة إلى التأييد الرباني بالوحي والمدد الإلهي ورعاية الله له،كل ذلك جعلته ملماً بواقعه وبيئته؛ ويبرز لنا الشيخ مصطفى السباعي الخطط الكبرى التي سار من خلالها النبي ﷺ في دعوته والذي من خلالها حقق نجاحاً منقطع النظير في إصلاح ذلك المجتمع، والتي لخصها في النقاط التالية:

أولاً: إصلاح الوضع الداخلي

أ - **تصحيح العقيدة:** هنا يشير الشيخ مصطفى السباعي إلى أن النبي الكريم انتهج طريق من سبقه من الأنبياء والرسل، فسعى أول الأمر إلى تحرير العقول من خرافات الوثنية والأباطيل الجاهلية وهذا حجر الأساس في كل دعوة صحيحة، فقد كانت تستعبدهم في الحقيقة أرباب أربعة، أو فئات أربع من الأرباب في آن واحد: ربوبية الأصنام المعبودة والجن والملائكة وغيرها من المعبودات التي يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى ، أو لتشفع لهم عند الله، وربوبية القبلية، وربوبية العرف الموروث عن الآباء والأجداد، وربوبية الهوى والشهوات..[1] وهذا كله مع ادعاء العبادة -نظريًّا- لله، والمعرفة النظرية بأنه خالقهم وخالق الكون والحياة، لهذا نجد أن أول ما نزل من القرآن كان يدعو إلى تصحيح هذه العقيدة، وحين نقول "العقيدة" فإننا نقصد بطبيعة الحال "العقيدة الصحيحة". وإلا فإن اعتقاد الإنسان بوجود إله مسألة فطرية لا تحتاج إلى نبي ولا رسول ، واتجاه الفطرة البشرية إلى خالقها بلون من ألوان العبادة مسألة فطرية كذلك لا تحتاج إلى نبي ولا رسول، إنما الذي يحتاج دائمًا إلى الأنبياء والرسل هو تصحيح العقيدة. فإن الفطرة -إذا تركت وشأنها- كثيرًا ما تضل، فتتصور الله على غير حقيقته، وتشرك معه آلهة أخرى،

1 محمد بن قطب بن إبراهيم؛ منهج التربية الإسلامية (ط: 16؛ لا.م: دار الشروق؛ د.ت)؛ ص 260.

وتتقدم له نتيجة لذلك بعبادة مشوهة، ليست هي ما يفرضه الله. فيجيء الأنبياء والرسل ليردوا الفطرة إلى سلامتها ويعطوها الدين القيم على حقيقته الربانية:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

وكما جاء كل نبي من قبل ليقول للناس كلمة التوحيد: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾.[2] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[3] .

فكذلك جاء رسول الله ﷺ ليقول المقولة نفس ها الخالدة التي تمثل الحقيقة الأزلية: لا إله إلا الله ويطلب من الناس أن يعبدوه وحده دون شريك ، وقد دعاهم إلى استعمال العقل في ذلك فجاءت معظم الآيات تدعو إلى التفكر والتدبر وضرورة استعمال العقل البشري بصورته التي خلق من أجلها . فجاءت في معظم السور المكية الآيات التالية: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[4] .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[5] .

ب – **تربية الفرد الكامل** : وهنا أشار الشيخ إلى تعامل النبي ﷺ مع الفرد العربي وسعى إلى تقويته بكل صالح منم القول ونبيل من الفعل، ونبذ عنه كل مفسد ومهلك، وهذا ما أدى إلى سمو أفكاره وطباعه مع نفسه أو من حوله من الناس، وهذا مبدأ دعوته ﷺ للوضع الداخلي وهو إيجاد فرد صالحاً باعتباره الخلية الأولى داخل المجتمع.

ت – **إيجاد المجتمع العادل:** ولذلك يضع النبي ﷺ كما جاء في قول الشيخ جملة من التصحيحات الثورية، والتي استطاع من خلالها أن يوجد مجتمعاً عادلاً بأتم معنى

1سورة الروم الآية 30 .

2سورة الصافات الآية 35.

3سورة الأعراف الآية 59 .

4سورة البقرة الآية 170 .

5سورة الذاريات الآية 21 .

الكلمة، وهذا ما نجده في المبادئ والأسس التي وضعها في شتى المجالات والتي ذكر منها:

ث - **تصحيح الميزان الاقتصادي:** لقد أرشدنا النبي ﷺ إلى طرق وكيفية اكتسب المال بطرق المشروعة والابتعاد عن كل ما يدعو إلى الظلم والغش، وهنا يقول "نعم المال الصالح للرجل الصالح" [1] كما وضح لنا أن هذا المال، ماهو إلا طريق لعمل الخير في الحياة الدنيا، و أن لا وجود لطبقات الغنى والفقر في هذا المجتمع، لأن الدولة تأخذ من الغني ما تكفل به حق الفقير، وفي هذا إيجاد لمجتمع متوازن اقتصاديا.

ج - **تصحيح العلاقة بين الشعب و الدولة:** وهنا يوضح لنا الشيخ مصطفى السباعي، علاقة الحاكم و المحكوم التي وضعها النبي ﷺ، وهذا بلغة العصر الذي يعيش فيه، فيعتبر أن الرئيس في الدولة

ما هو إلا واحد من أفراد هذه الأمة، إلا انه أكثرهم تحملا للأعباء والوجبات، في نفس الوقت وجب على الشعب أن يتعاون مع هذا الحاكم في حدود القانون الدستور، وقد استدل بذلك بخطبة أبي بكر الصديق الأولى، ليشير في الأخير إلى تحمل كل فرد من أفراد الأمة مسؤوليته ووظيفته في هذه الدولة .

كما أشر إلى ضرورة إعطاء الحرية الكاملة لإفراد المجتمع، وأوضح صلة الدولة بهذه الحرية ودورها في تكييفها وتنظيمها في حدود المعقول، والأخذ بيد الظالم والمعتدي، ويستدل في ذلك بحديث السفينة.[2]

ثانياً: الاستفادة من استعداد الأمة

استغل النبي ﷺ استعداد الأمة وتوثبها، فعمل على استيقاظ ما عندها من روح الخير فيها لمزجه بنور الإصلاح الذي بعثه الله به، فلم تكن دعوته تدعو إلى إيجاد طفرة مباشرة في المجتمع، بل سعى إلى التدرج بها شيئاً فشيئاً، ولم يغير في شخصيتها أو يستمد قوة الإصلاح من دولة أخرى، وهذه هي بركة الإصلاح في دعوته .

1أخرجه: محمد ابن إسماعيل البخاري ت 256هـ، الأدب المفرد. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي؛ج 01(ط:03؛ بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1409هـ- 1989م)باب المال الصالح للمرء الصالح، ص112.

2مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 17 .

بعد هذا الاستعداد والتمكين الداخلي في الدولة الإسلامية، أصبح بمقدورنا أن نقول أن هذا النبي استطاع أن يبني دولة عظمة تسودها حياة من التنظيم المؤسسي والمهيكل، ليتجه بعدها إلى تخليص العالم العربي من قيود الظلم والاستعمار، وبعث برسائل الإصلاح إلى زعماء المنطقة، يدعوهم فيها بالانضواء تحت راية واحدة، والسير معه في طريق قهر الاستبداد ودحض الشر القائم.[1] .

يجيب الشيخ مصطفى السباعي عن بعض الافتراءات التي تحدثت عن الحروب والفتوحات التي خاضتها الأمة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ، وما أعقبتها من سيطرة على شبه الجزيرة العربية عامة.[2]

أ - **الاستفادة مما عند الأمم :**

وهذا ما ختم به الشيخ مصطفى السباعي رؤيته التصحيحية التي وضعها الرسول في إرساءه لقواعد دولة الإسلام، والتي يشير فيها إلا التقدمية و التجديد الذي طبع به دولة الإسلام للتماشي مع الواقع الذي كانت فيه، فلم يبطل أو يحارب ما كان يجده في شعبه من عادات وقيم، بل أبقى ما كان صالحاً وألغى ما هو ضار، كما استفاد من بعض ما كان موجودا من خير أو علوم أو خطط حربية، ونقل لنا هنا بعض الشواهد كقصة حفر الخندق أو ضرورة وضع الختم على الرسائل ... ، ولقد حث الرسول ﷺ المسلمين على ذلك في قوله: " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها" [3]، وعلى ذلك صار خلفاؤه بعده، وهنا نقول أن الدعاة بحاجة إلى هذا النوع من التفهم والاستيعاب والفرز لما لا يقبل الجمود عما لا يقبل التطوير، حتى نبقي على الثوابت والركائز الأساسية مهما كان العصر الذي نعيش فيه، وحتى لا نجمِّد ما ينبغي أن يستمر التغير والتطور في الأساليب والوسائل والفروع ، وكل ذلك حتى لا نعيش خارج العصر، ولا نفقد روحه. و" إذا لم يكن للمرء روح عصره —كما قال فولتير– كان له كل أسباب شقائه"[4].

1 مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 19.

2 المرجع نفسه، ص22 .

3أخرجه: محمد بن عيسى الترمذي ت 279هـ، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، ج 4 (لا.ط؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي؛ 1998م) باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة؛ ص 348. قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَضْلِ الْمَخْزُومِيُّ يُضَعَّفُ فِي الحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ.

4عبد الكريم بكار؛ مقدمات النهوض بالعمل الدعوي (ط: 02 ؛ دمشق : دار القلم؛ د.ت)؛ ص 76.

ب - **واقعنا اليوم** : من منطلق أن عمل الدعاة في حياتهم، هو ترتيب أولويات إصلاح المحيط والمجتمع العام والتبشير بها هو من مسؤوليتها الإصلاحية، لهذا سعى الشيخ مصطفى السباعي في قراءته لمنهج النبي ﷺ، لإيجاد مقارنة بين البيئة العربية في بدايات الدعوة وما تعيشه أمته في زمنه ويوضح لنا ذلك في النقاط التالية[1]:

01- الاستفادة من استعداد الأمة لتكون حركة الإصلاح منبثقة من واقع الأمة وحاضرها.

02- تنظيم بنياننا الداخلي بإصلاح العقائد وبناء الفرد الكامل وإقامة المجتمع العادل.

03- تحرير أراضينا من واقعه المرير وإزاحة ما بداخلها من أعباء الجهل والاستعمار.

04- حمل راية لإنقاذ العالم من ويلاته ومشاكله، والاستفادة من الماضي وعدم تجاهل الواقع والسير في طريق الحياة بنور الإسلام.

05- الاستفادة من تجارب الحضارات الأخرى، والأخذ من علومها وأفكارها ما يوافق ديننا وقيمنا، وأن نكون أكثر حذرا من العجب بكل ما نسمع أو نرى وفي هذا يقول الشيخ مصطفى السباعي " الإعجاب أول خطوات الحب، والحب أول خطوات الاستعباد".

كما يذكر الشيخ مصطفى السباعي بمناسبة هذه الذكرى أن نستفيد من حقائق يتطلب أن ندركها في الساعة الحاضرة وهي :

-أن الصراع القائم بين المعسكرين الشرقي والغربي، هو صراع مذاهب لم يثبت صلاح أحدهم في إخراج العالم من مشاكله وشقائه .

-رقعة العالم الإسلامي وما تحتويه من خيرات هي سبب الصراع بين قطبي العالم من أجل السيطرة عليه .

-انحيازنا إلى أحد أقطار الصراع يضعف أحدهم، ومن مصلحة الأمة ترك هذا الصراع والاستفادة من ضعفهم بعد ذلك .

-ليوجه في آخر رسالته دعوة إلى شباب الأمة إلى ضرورة جمع كلمتهم على راية واحدة، وقيادة أمتهم إلى ميادين النصر والعزة ببصيرة متزنة بعيدة عن الجمود والتطرف، ويوجهوا استعداد الأمة إلى ثورة فكرية وأدبية لا تبقي على الخرافات ولا بالتحلل و لا ترضى بالظلم، كما وجه خطابا إلى فئات

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص25.

المجتمع قاطبة يحثهم فيها على ضرورة الحفاظ على فلسطين باعتبارها موروث الأنبياء ومفتاح الثورة الكبرى، وجعلها مبدأ لتحرر المظلومين والعبيد المقهورين .

ليعهد النبي الكريم ﷺ عن الذود عن دعوته ونهجه بالدماء والرجال والأموال، لننطلق بعدها في تحرير فلسطين وأنفسنا وأرضنا والعالم كله .

المطلب الثاني : واقعية الإسلام

لقد كان للشيخ السباعي اطلاع واسع على واقع الحياة العامة، وكان مدركا لما يدور حوله من أحداث، فلم تكن تمر ذكرى أو موقف إلا وله إطلاع على مجرياته وأحواله، وفي هذه الرسالة يقف الشيخ السباعي على موقف أثر فيه بشدة، وهو وقوف أحد الخطباء بمناسبة حفلة أقامها أحد الأحزاب الكبيرة في البلاد، مهاجماً لدعوة الإسلام واعتبارها خيالية لا يمكن أن تعيش ولابد من أن تموت .. ومقارنتها بالدعوات الأخرى المنتشرة في البلاد، مما دفعه إلى كتابة هذه السطور مدافعاً وناقدا لما جاء في كلام هذا الخطيب، وأول ما جاء في رده ملاحظات عابرة أطلقها الشيخ في ذلك فيقول:

01 – الجرأة الغريبة للخطيب في كلامه حين حارب الإسلام في بلد كدمشق يحكم دستوره دين الإسلام، وقارن الدعوة الإسلامية بالدعوات الأخرى الموجودة في البلد، واعتبرها الشيخ مصطفى السباعي إساءة لهذا البلد .

02- جبن الخطيب في كلامه على الدعوات الأخرى بمقارنة حديثه مع الدعوة الإسلامية حيث ذكر الشيوعية والقومية ببعض خصائصهم فيم ذكر الدعوة الإسلامية باسمها الصريح، وهنا اعتبر الشيخ السباعي ذلك من خوف هذا الخطيب من المصادر الفكرية والسياسية لهذه الدعوات .

03- لم يعتبر الشيخ السباعي كلام هذا الخطيب، يمثل رأي هذا الحزب الذي جرت به الحفلة ولا الحاضرين في هذا لمحفل، واعتبر ذلك ظاهرة جديدة في حفلات الحزب أراد أن يلفت المسؤولين عليها .

بعد هذه الملاحظات العابرة التي ذكرها في مستهل حديثه عن مزاعم هذا الخطيب من خيالية الدعوة الإسلامية، وما تنبأ به من موتها، وهنا يوضح الشيخ السباعي مقياس الواقعية والخيالية في الدعوات التي تحدث عنها هذا الخطيب وما هي علائم الحياة والموت فيها.[1]

ليبدأ أولاً في التأصيل لمقياس الواقعية من خلال ثلاث عناصر رئيسية وهي :

01- الذاتية: وهي أن تكون الدعوة منبثقة من طبيعة الأمة منسجمة مع خصائصها مستوحاة من حاجتها حتى تعبر لنا بصدق عن آمالها وطموحها، ويضرب لنا هنا الشيخ مصطفى السباعي مثالا عن بعض الدعوات التي خالفت طبيعة البيئة التي وجدت بها فكان مصيرها الاندثار والتوقف، ومن أبرز الحركات في التاريخ الإسلامي نذكر (حركة الإصلاح التي قادها أمان الله خان في أفغانستان ، حركة كمال أتاتورك في تركيا) .

02- التقدمية: وهي أن تواكب هذه الدعوات تطور الحياة وتساير تقدم الحضارة، حتى تستطيع أن تواصل مسيرتها بنجاح، ومن بين الحركات التي ذكرها الشيخ السباعي ويرى أنها فقدت هذي الخاصية في التاريخ الإسلامي نجد (الدعوة السنوسية)، التي كانت تدعو إلى الجمود والعزلة وترسخ مبدأ الفرار من الحياة، فلم تراوح مكانها وبيئاتها مع أنها كانت في بدايتها ترى نفسها دعوة إصلاحية للعالم الإسلامي كله .

03- الشمول: وهي أن الدعوات تكون شاملة لجميع مناحي الحياة في المجتمع التي تكون فيها، حيث يرى الشيخ أن معظم الجهود التي قامت بها الدول الإسلامي في مجال دون غيره كان سببا في الحالة التي آلت إليها الأمة اليوم، وذكر هنا جهود العرب في حربهم مع اليهود، وسبب هزيمتهم في فلسطين والذي أرجعه إلى عدم وجود تفكير شمولي لهم، وانسجام في ميادين الأخلاق والسياسة والاقتصاد والميدان العسكري، وكذلك الانقلابات الدكتاتورية التي عاشتها معظم البلاد العربية والتي زعمت أنها قامت من أجل الإصلاح، فلم تحقق شيئاً لأنها كانت تركز على جانب دون آخر في عملها الإصلاحي .

1 مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام (ط:02 ؛بيروت لبنان: دار ابن حزم،1430هأ-2010)، ص 147.

بعد هذا يرى الشيخ مصطفى السباعي ضرورة تشخيص مقياس الواقعية عند الدعوات التي كانت منتشرة في واقعه، والتي تعرض لها الخطيب مع تعرضه إلى الدعوة الإسلامية، فيستعرض هذه الدعوات على ضوء ما تناولناه من عناصر "مقياس الواقعية" سابقاً [1]:

واقعية القومية السورية:

إن الأفكار التي طرحتها هذه الدعوة في بدايتها، والتي تمجد ضرورة ارتباط المجتمع السوري بتاريخه القديم، والذي حسب فكرها انه يميزها عن بقية البلاد العربية الأخرى، أفقده إلى حد بعيد ذاتيتها عند الناس، إضافة إلى أفكارها المعادية للإسلام والافتراءات الكثيرة التي أطلقتها حوله، وهذا ما جعلها تفقد أبرز معالم الواقعية فيها .

وفكرة الوطن السوري ضيق المجال والمحدود، التي تنادي به هذه الدعوة، في وقت يشهد فيها العالم كثير من التحالفات والاتحادات، مما أفقدها عنصر التقدمية في دعوتها والذي يشكل عنصرا من عناصر الواقعية كذلك .

لقد كان تركيز هذه الدعوة على لم شمل المجتمع السوري في رقعة صغيرة، وهذا من خلال الاعتماد على ما تحمله من أوهم تاريخية قديمة، جعلها تُهمل بعض المبادئ والقيم والأخلاق الضرورية، مما افقدها لعنصر الشمولية والذي يعتبر هو كذلك عنصرا هام من عناصر الواقعية.
بهذا التحليل لواقعية القومية السورية، نجدها تفرض نفسها في الواقع مستغلة بذلك الفوضى والاضطرابات التي تشهدها البلد، ولن تبقى طويلاً حتى تزول .[2]

الشيوعية :

إذا نظرنا إلى هذه الفكرة، نجدها "نظم تسمى في عرف الكثير من الناس بالنظم الشرقية، وقد بالغت هذه النظم في أن تعطي للمجتمع حاجاته ومطالبه، وأن تحقق بجانب ذلك حاجات الهيئة الحاكمة، أو الحزب الواحد، مما ضيع على الفرد كثيرا من حاجاته ومطالبه، وأصبح المجتمع هناك

1 مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 153.
2 المرجع نفسه، ص 161.

أو الشعب أو الطبقة الكادحة أو " البروليتاريا / proletariat"[1]، حيث أطلقها (كارل ماركس) على طبقة العمال الأجراء، الذين يشتغلون في الإنتاج الصناعي، ومصدر دخلهم هو: بيع ما يملكون من قوة العمل"[2].

واقعية الشيوعية:

إن نظرات هذه الدعوة إلى الدين والتاريخ الإنساني ومراحل تطور الحضارات جعلها تفتقد إلى عنصر الذاتية في دعوتها والتي قلنا أنها أبرز معالم الواقعية .

إن التحرر الذي تدعو له هذه الدعوة في أفكارها اتجاه العلائق الجنسية والقيم الأخلاقية ونظرتها الدونية للإنسان، والذي رجعت به إلى قرون الظلم والاستبداد في ظل سيادته وارتفاع قيمته عند دول العالم، أفقدتها عنصر التقدمية التي تعتبر عنصرا هاما في مقياس واقعية الدعوات .

في حديثنا عن الشيوعية نجدها كثيرا ما تهتم بالجانب الاقتصادي وتوليه أهمية بالغة في دعوتها وفي نفس الوقت نجدها قد أغفلت الجوانب الأخرى، والتي هي أساس نهوض وازدهار الدعوات وهنا يبرز لنا عنصر الشمولية الذي لا وجود له في هذه الدعوة مما يفقدها واقعيتها في المجتمع .

من هنا كان ولابد أن لا يكتب لها البقاء إلا بمقدار ما تتغذى به من الأوضاع التي تشهدها البلاد، وفي النهائية يكون لها صراع طويل مع الإسلام .

القومية العربية:

لم يتوقف الشيخ مصطفى السباعي على تعريف محدد وشامل لمفهوم القومية العربية، وهذا لأنها حسب رأيه فكرة غربية تم استيرادها من أوروبا في أواخر القرن الماضي، وهي تختلف من بلد إلى آخر ومن مبدأها نظرتها العدائية للأديان بصفة عامة، وهذا راجع إلى تاريخ الصراع القائم بين العلم والفكر عندهم، أما عندنا فلم يجد الشيخ داعيا لمهاجمة هذه القومية للدين الإسلامي، ويرى أن هناك فريقين في نظرتهم للدين: الفريق الأول ينصب العداء المباشر للدين ويحاربه باعتباره أفكارا وفلسفة جامدة .

1هو تعبير قانوني يطلق على المواطن الذي ليست له صفة سوى أنه أنجب أطفالا، أطلقه "سان سيجون" الفرنسي، على الذين لا يملكون نصيباً من الثروة، ولا يتمتعون بأية ضمانات في الحياة . أنظر: عبد الحليم محمود؛ فقه الدعوة إلى الله، ص494 .

2عبد الحليم محمود؛ فقه الدعوة إلى الله . ج 01(ط: 02؛ المنصورة: دار الوفاء للطباعة و النشر والتوزيع؛ 1411هـ - 1990م)، ص 494.

الفريق الثاني لا يتبنى محاربة الدين ولكنه لا يعتبره من دعائمه الأساسية .

واقعية القومية العربية:

إن نظرتها إلى الدين كونه عنصرا غير مهم في دعوتها تكون قد فقدت ذاتيتها في المجتمع العربي بصفة خاصة وهذا ما جعله فاقدة لعنصر أساسي في مقياس الواقعية .

من أساس دعوتها الاهتمام بجانب الوطن والدولة وضرورة تمسك الفرد بِهما، في حين تُهمل الجانب الأخلاقي التربوي السليم، وهنا نجد أنها قد غيبت ركنا أساسيا في الواقعية وهو عنصر الشمولية.

لديها كذلك فكرة تحرر الفرد، فجعلته يعيش شهوانية مطلقة كما كان يعيشها الإنسان القديم من دون أي قيود أو أسس، ما يفقدها عدم ملاءمتها لواقع الحياة الحديث ومواكبتها للعصرية والتمدن، وهنا تفقد عنصرا مهما في مقياس الواقعية .

من خلال هذا التحليل المبسط لهذه الفكرة نجد أنها فشلت في ترسيخ عناصر مقياس الواقعية التي وضعها الشيخ السباعي في دراسته لهذه الدعوات، وعليه فلن يكون لها وقت أطول في الحياة لتجد نفسها في مرحلة الانهيار.

بعد تحليل الشيخ مصطفى السباعي لهذه الدعوات وقياس واقعيتها على ضوء ما وضعه من عناصر، نجدها دعوات باطلة لا أصل لها في المجتمعات المسلمة، فقد أرشدنا الإسلام إلى ما تخفيه هذه الأفكار من سموم ومصائب للبشرية رغم ما تظهره من محاسن[1] .

بعد التطرق لكل هذه الدعوات التي فرضت نفسها في الأجواء العربية كبديل لمعالجة الواقع الذي تتخبط فيه المجتمعات، وعليه وجب علينا أن نعرف مكانة الدعوة الإسلامية في كل هذا، يأتي الدور على قياس واقعية الدعوة الإسلامية من خلال عناصر " الذاتية " و"التقدمية" و"الشمولية"، وهنا يقدم لنا الشيخ بعض الأهداف والبرامج والحقائق التي من خلالها نستطيع تقديم أدلة واضحة وحقيقة عن واقعية هذه الدعوة، فأول ما بدأ به الشيخ السباعي هو توضيح بعض الحقائق المهمة والتي نذكر منها[2]:

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 166.

2المرجع نفسه، ص 188.

المجتمع يعاني فساد داخليا عاما، وهو بحاجة إلى حركة إصلاحية تعالج ذلك .

تخلف المجتمع عن الإسلام الحقيقي، لم يفقده روحه الإسلامية والتي تميزه عن بقية شعوب العالم .

سبب انحطاط الذي أصاب العالم الإسلامي هو ابتعاده عن جوهر دعوته .

الإسلام دين مرن صالح لكل زمان ولكل أمة، وهذا من خلال مواكبته لظروف كل عصر بإحكام ومبادئ جديدة ، تختلف عن العصور الأولى .

لا مانع في الأخذ من تجارب الحضارات الأخرى في المجالات العلمية وهذا عملا بقول النبي ﷺ:"الكلمة الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها "[1]

الإسلام أوسع من كونه دينا على فهم الغربيين وغير المسلمين فهو نظام كامل وشامل للحياة الإنسانية .

رسالة الإسلام العالمية تجعل منه فكرة تسمو فوق كل النزعات القبلية والطائفية والعنصرية والقومية والإقليمية المحدودة، فهو يريد إنشاء عالم له فلسفة واحدة، بداخلها خصوصيات مختلفة المشارب .

يقوي الإسلام رابطة المحبة والتعاون بين أفراد المجتمع المختلفة .

هذه أهم الحقائق التي وجب علينا معرفتها، فهي أساس لفهم الدعوة الإسلامية وبيان اتجاهها ولعل هذا كله دافع إلى معرفة أهداف الدعوة الإسلامية في واقعنا اليوم[2] :

يرى الشيخ مصطفى السباعي، أن هذا المجتمع هو وحدة متماسكة، والفرد فيه خلية أولى والأسرة هي اللبنة الأولى في بنائه، والمدرسة هي وسيلة لتربية العقل، والمسجد هو المكان الأفضل لتربية خلقه وروحه، وعليه فإن هدفنا في هذه الدعوة هو إصلاح الفرد ليكون مدركا لواجب الإصلاح في بيته أولاً، ثم تكوين عقله في المدرسة، ليعقبه تهذيب روحي وخلقي في مسجده، وقد اعتبر أن أي اختلال في هذه الخطوات يعقبه إصلاح فاشل لا يقدم للأمة شيئاً.

1أخرجه: محمد بن عيسى الترمذي ت 279هـ، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، ج 4 (لا.ط؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي؛ 1998م) باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة؛ ص 348. قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَضْلِ الْمَخْزُومِيُّ يُضَعَّفُ فِي الحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ.

2مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 191.

في الأخير يؤكد على التقاء دعوة الإسلام مع جميع الدعوات الأخرى في مطالبها الإصلاحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كما تهدف إلى إيجاد المجتمع القوي في داخله بالعلم والخلق و العدل والتعاون، والمجتمع القوي خارجه بالسلاح والجرأة و الاستعداد.

كما أكد على عظمة هذا الشعب بكل ما حباه الله من موارد وكفاءات ومؤهلات السيادة على أرضه ووطنه، ورسالة الإسلام تحمل في طياتها معاني الإنسانية لكل الشعوب المقهورة والمضطهدة في العالم جميعا، ومنذ أن فقد العالم قيادتنا له راح يتخبط في كثير من المشاكل في مختلف الجوانب وهذا الذي ما ميزة دعوة الإسلام عن الدعوات الأخرى وهو أنها دعوة لا تتوقف في إصلاح داخلها بل تنشره للعالمية جمعا، وبذلك نستطيع القول أننا قد نلتقي مع الدعوات الأخرى في مطالبها الإصلاحية، ولكن نختلف معها في الأفق والمنهج والوسائل.[1]

استطاع الشيخ السباعي أن يقدم لنا دلائل وحججا رائعة عن واقعية الإسلام من بين الدعوات الأخرى من خلال ما قدم من خصائص وأهداف لهذه الدعوة، التي توفرت على جميع عناصر الواقعية التي تطرق إليها الشيخ السباعي في بداية حديثه في هذه الرسالة .

المبحث الثاني : الأبعاد التشريعية

في هذا المبحث نبرز أهم الجهود العلمية التي تطرق إليه الشيخ مصطفى السباعي في مجال النظام التشريعي، والتي ميزت دعوة الإسلام عن بقية الدعوات الأخرى الذي شهدها في عصره، مبينا أبعاد هذا النظام من خلال التطرق إلى موضوع الإرث ومشروعيته وموضوع المرونة والتطور الذي يميز هذا النظام .

المطلب الأول: نظام الإرث ومشروعيته .

إن أبرز ما يميز دعوتنا هو تلك النظم التي تحكم حياة الناس، فترسي فيها روح العدل والمساواة في معاملاتهم فيما بينهم من جهة وبين غيرهم من جهة أخرى، ولعل من أبرز هذه النظم التي عني بها الإسلام هو النظام الاقتصادي، والذي شمل مجموعة من المبادئ العامة والتنظيمات الجزئية في

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 192.

مضامينه، ويقف الأستاذ السباعي في هذه الرسالة على نظام الإرث ومشروعيته، أين بين لنا مكانة هذا النظام في الإسلام ومشروعيته بالأدلة الصريحة من القرآن والسنة، ليتم بعدها مناقشة المعترضين على هذا النظام ويوضح مبادئه عند الديانات الأخرى، وفي الأخير بين لنا بعض أحكام نظام الإرث ولكن لن نتعرض لهذه النقطة بحكم أنها لا تخدم موضوع البحث .

01 مكانة نظام الإرث في الإسلام :

يسمى علم الفرائض ودلت أغلب الأحاديث على ذلك ، وقد كانت لهُ مكانة خاصة في الإسلام، "لما له من علاقة ظاهرة بكل فرد في المجتمع، وقد رغب النبي ﷺ في تعلمه وتعليمه، كيلا يجهل الناس نظاماً شديد الصلة بحياتهم العائلية وعلائقهم المالية" [1]، وفي ذلك شواهد كثيرة من السنة النبوية فيقول الرسول ﷺ:" تعلَّموا الفرائض وعلِّموها الناس فإنها نصف العلم، وهو علم ينسى وهو أول شيء ينزع من أُمتي"[2].

وقال أيضاً ﷺ: " تعلموا القرآن وعلِّموه الناس وتعلموا الفرائض وعلموها فإني امرؤ مقبوض والعلم مرفوع، ويوشك أن يختلف اثنان في الفريضة و المسألة فلا يجدان أحداً يفصل بينهما"[3].

وقد اشتهر بعض الصحابة رضوان الله عليهم بهذا العلم ونذكر منهم: عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس، وزيد بن ثابت.

02 مشروعية الإرث و أدلته:

لقد ذهب الشيخ مصطفى السباعي في بيان مشروعية الإرث، إلى توضيح آراء بعض المذهب الاشتراكي والتي ترى في نظام الإرث، ظلماً للإنسان، وهذا كون أن "الوارث للمال لم يتعب بتحصيله وقد يكون هذا المال الموروث مجموعاً من طرق ظالمة وغير مشروعة، فليس من العدالة أن يعطى لمن لا

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 103.

2أخرجه: أحمد بن حسين البيهقي ت458هـ، السنن الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج 6 (ط:03، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، 1424هـ-2003م) باب الحث على تعليم الفرائض، ص343 .

3أخرجه: أبو عبد الله الحاكم المعروف بابن البيع ت 405هـ، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ج04(ط:01، بيروت: دار الكتاب العلمية؛1411- 1990م) كتاب الفرائض، ص 369 .

يستحقه"[1]، كما ترى أيضاً إذا وجد ولدان : أحدهم من غني ورثه أبوه أموالاً طائلة سينفقها في اللذة والإثم، وسيكون عالة على المجتمع لا يبذل جهداً ولا يقدم عملاً .. والثاني من فقير ليس له مال يورثه، وعليه أن يسعى بنفسه لتحصيل قوته، فما ذنب هذا الصبي الفقير؟ وما ميزة ذلك الغني؟ أليس هذا تفاوتاً يجب أن تمنعه العدالة؟.

غير أن الإسلام كغيره من الشرائع الأخرى، ترى أن "للأفراد حق الملكية الفردية، وبهذا الإقرار أمكن للفرد أن يكون مالكاً. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴾[2]

فأثبت الله تعالى للناس الملك لما خلقهم" [3]، ومن هنا ترى أن الإرث حق شرعي بناء على القاعدة " كل ما جاز أن يتملك جاز أن يورث".

ليشير الشيخ مصطفى السباعي بعد ذلك إلى بعض المبادئ التي وضعها الإسلام في التملك والتصرف في الأموال، حتى يبطل ما زعمه دعاة الاشتراكية من ظلم في هذا النظام (نظام الإرث) ونوجز هنا بعض ما نقله الشيخ من مبادئ[4]:

01- اعتبار كل ما في الكون مللك لله وحده قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾[5]، وتسخيرها للإنسان الذي كرمه حيث قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[6]

02- المال وسيلة لفعل الخير وليس غاية وهذا في من خلال حديث النبي ﷺ " نعم المال الصالح للرجل الصالح "[7].

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 105

2سورة يس الآية 71.

3عبد الكريم زيدان،أصول الدعوة(ط:03، لا.م، لا.ن، 1396هـ-1976م)، ص244.

4مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 106.

5سورة البقرة الآية 284.

6سورة لقمان الآية 20.

7 أخرجه: محمد ابن إسماعيل البخاري ت 256هـ، الأدب المفرد. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي؛ج 01(ط:03؛ بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1409هـ- 1989م)باب المال الصالح للمرء الصالح، ص112.

03- كما اعتبر العمل واجبا على كل قادر لتجنب حالة الفقر الذي اعتبره مرضاً اجتماعياً يجب تجنبه، وسئل النبي ﷺ: أَيُّ الْكَسْبِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ»[1]

04- يعتبر الإسلام المال حق الله لعباده، وعليه وجب إنفاقه على من يستحقونه من الضعفاء والمساكين، ولهذا فرض لزكاة، فقال الله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾[2]

وبعد هذا كله يحارب الإسلام تكديس المال والانتفاع الفردي، في تجسيده لمبادئ الميراث أين تقسم أموال الوارث بين مجموعة كبيرة من الأفراد، وإذا لم يكن له من يورثه يكون هذا المال من نصيب بيت مال المسلمين، وهذا بناء على القاعدة " الغرم بالغنم".

فأين نجد الظلم التي تتحدث عليه هذه المذاهب في كل ما ذكر من مبادئ، ليصل الشيخ مصطفى السباعي إلى حقيقة أن الإرث أمر طبيعي موافق للفطرة ولمبادئ العدالة ولطبيعة الأشياء"[3].

الأشياء"[3].

03 مناقشة المعترضين على الإرث:

كان للشيخ مصطفى السباعي علم وبصيرة عالية مكنته من الرد على المخالفين لنظام الإرث فكانت له حجج قوية وبراهين داحضة لتساؤلاتهم وافتراءاتهم الموضوعة في هذا العلم.

فقولهم عن ذنب الولد الفقير الذي لم يكن لأبيه مال يورّثه له، فيقول أن الآباء يورثون أبنائهم خصائصهم و ألوانهم و مواهبهم فلماذا يستغرب هؤلاء من توريث ثمرة هذه الخصائص وهي المال.

كما أنكر على هذه المذاهب التي تنكر حق التملك الفردي، تميزها لفئات المجتمع الواحد فتعطي العلماء و الحرفيين والموسيقيين وتحرم العمال والفلاحين وأصحاب المواهب المحدودة، وهنا يسأل الشيخ السباعي هؤلاء عن ذنب تلك الطبقة؛ كما أوضح أن الإسلام يمنع توريث المال الفاسد والحرام وأن لا يورث إلا ما كان من حلال طيب، وما يعيشه الإسلام اليوم من تسلط الأغنياء

1أخرجه: سليمان ابن أحمد الطبراني ت 360هـ، المعجم الكبير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ج 22(ط:02؛ القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1415هـ -1994م)،ص 197 .

2سورة المعارج، الآية 25 .

3مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص125.

وجمعهم للمال الحرام، وتوريثهم له، فليس له من الإسلام شيئا وإنما هو نظام اجتماعيا فاسد، كما أن الإسلام يحجر أموال المبذرين ولا يسمح بظهور طبقية بين أفراد مجتمعه.

في الأخير أشار الشيخ مصطفى السباعي إلى أن النظام الاشتراكي قد عدل عن بعض المبادئ التي كان يعتقدها، تلبية لنوازع الفطرة .[1]

ليتعرض بعده إلى بعض المبادئ التي ميزت الديانات الثلاثة (اليهودية، المسيحية، الإسلام) في تطرقها إلى نظام الإرث، وكيفية تقسيمه على الورثة، والفئات التي لها الحق في الميراث .[2]

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 129 .

2المرجع نفسه، ص 130.

المطلب الثاني: المرونة والتطور في التشريع الإسلامي.

إن الإسلام دين الفطرة ومنذ نزوله على أفضل الخلق ﷺ، كان نبراس الدنيا ومرشدها في عتمة الظلم والفساد التي شهدتها طيلة قرون مضت، فقد رسم على لوحة الحياة صورة العدل والأمان التي لطالما انتظرته شعوب القرون الوسطى، ونشر بسماحته وعلمه نور الهدى وشعاع الأمل والمحبة، إلا أن المنتسبين له في هذا الزمان أهملوا ذلك كله وراحوا ينشغلون بعلوم الدنيا ظنا منهم أنها سبيل الحياة الكريمة، لنجد البعض منهم يستحيي حتى من الانتماء إليه لما فيه من ضعف وذل وفقر، وقالوا في أنفسهم :" لو كان فيه خيرا لرفع أصحابه ونهض بالمنتسبين إليه ..."[1].

لعل أبرز ما عنيت به الأمة هي تاريخ نهضتها وحضارتها فسعت إلى استغلال نقاط القوة فيها فاستثمرتها وسعت إلى تطويرها، وعالجت نقاط الضعف فيها وتجنبتها؛ ومن خلال هذه المقالة يوضح لنا الشيخ مصطفى السباعي ما ميز التشريع الإسلامي من مرونة وتطور .

01 -لماذا غمط الإسلام حقه؟ :

لقد أرجع الشيخ مصطفى السباعي الوضع الذي آل إليه الإسلام اليوم من ضعف و إهمال إلى سبب واحد ووجيه، و"هو انقطاع الإسلام عن السيطرة التامة لشؤون الحياة في مجتمعاتن ا منذ مئات السنين"[2] ؛ "وقد أشار في ذلك إلى أن العالم الإسلامي تأثر كثيرا بالنهضة العلمية التي شهدتها الدول الغربية في هذا العصر، فخضعنا إلى سلطان هذه الدول وما حملته من علوم ومعارف، وفي هذا يقول ابن خلدون في مقدمته " إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده))، وقد أطلق الاصطلاح الحديث على هذه الظاهرة (قانون التكيف)"[3]. ليذهب بعضهم إلى عدم جدوى هذا الدين في عصرنا الحاضر، ويقولون:" كيف يعنى الإسلام بحاجات المجتمع الحديث وقد مضى عليه 14 قرناً؟؛ وفي هذا إجابة كافية ووافية للشيخ السباعي فيقول:"أن نهضة الأمة وتقدمها لا يكون باعتمادها على العاطفة فقط والتي قد تكون أساس ذلك، ولكن بتوضيح ما لها

1مقدمة الأستاذ محمد عمر الدعوق، كتاب هذا هو الإسلام ، ص64.

2مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق ، ص 67 .

3مالك بن الحاج، وجهة العالم الإسلامي (ط: 01؛ بيروت لبنان: دار الفكر المعاصر / دمشق سوريا: دار الفكر، 1431هـ - 2002م)، ص 121.

من ميزات التطور والمرونة التي تجعلها صالحة لكل وقت.."وهذا ما تطرق إليه من خلال هذه المقالة والتي أبرزت الخطوط العريضة لموضوع التطور والمرونة في التشريع الإسلامي وهذا بصورة علمية رائعة .

02 -**عناصر النجاح لكل تشريع**: يرى أن كل تشريع يرى نفسه مناسبا لتنظيم حياة المجتمع وجب عليه أن يتوفر على عنصريين أساسيين :1- المرونة 2- التطور.

وفي بداية تناولنا لهذا الموضوع نطرح الأسئلة التالية محاولين من خلالها بيان مرونة وتطور التشريع الإسلامي:

هل يتوفر التشريع الإسلامي على هذين العنصرين؟

وإلى أي مدى نلمس ذلك من خلال أحكامه؟

ويرى السباعي أن المرونة في التشريع يجب أن تقوم على وضوح فكرة تطور الحياة عند المشرع بحيث تجعله مستعدا لتقبل ذلك التطور في أي وقت. فهل يعتقد الإسلام أن الحياة متطورة؟ وهل وجه نظر الناس إلى تطور الحياة في المستقبل ؟

03 -فكرة التطور في الإسلام:

بين الشيخ السباعي في هذه النقطة، أهمية العقل في الإسلام وما وهبه من إشادة واحترام شديدين، وقد جاءت عدة آيات في هذا السياق حيث طلب منه التأمل في نفسه ومن حوله فيقول تعالى:﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[1] . وقد رأى العقل البشري أن الإنسان مهما وصل لما في أسرار الحياة فلن يحيط بها كلها في وقت واحد، وقد نص القرآن على تطور الحياة وخاصة ما تعلق بوسائل النقل فيقول: قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[2]

1سورة الذاريات الآية 21 .

2سورة النحل الآية 08 .

04 عالمية الإسلام دليل على مشروعية التطور فيه:

وفي هذا يقول الشيخ أن الإسلام بهذا الاعتراف بتطور الحياة فهو دين مستعد لتقبل هذا التطور ما دام يعلن نفسه رسالة عالمية وخاتم الرسالات، ونجد ذلك راسخاً عند أصحاب رسول الله ﷺ فهذا عمر يقول:" لا تجبروا أولادكم على أخلاقكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم ".

وبهذا الإعلان الصريح للإسلام، يكون قد أسس بنيانه على مسايرة الحياة في تطورها وإن لم ينسجم مع عالميتها، وقد طُلب من التشريع الإسلامي أن لا يحول بين التطور وبين تحقيق مصالح الناس المشروعة وأن لا يمنعهم من الاستفادة من ثمار الحضارة، وأن لا يقف في وجه الدولة دون وضع القوانين و النظم التي يحتاج إليها الشعب، وفي هذا يقسم الشيخ مصطفى السباعي التشريع إلى قسمين: 01 – قسم لا يمكن أن يتطور وليس الناس في حاجة لتطوره 02- قسم يتطور والناس في حاجة لتطوره .[1]

05 -مالا يتطور في التشريع الإسلامي:

أ– العقائد: وهي حقيقته واضحة ليس في حاجة إلى تطوره، فإن كانت حقيقة فستبقى مدى الحياة وإن كانت غير ذلك فستكشف مع الزمن، وعقيدة الإسلام حقيقة لم يزدها الزمن إلا صدق ووضوح.

ب– العبادة: وهي كذلك مما تحمله من صفات وحركات ستبقى كذلك كما نزلت إلينا ويذكر هنا بعض الأمثلة كصلاة والصوم والحج ...، وكل تحويل فيها هو إبطال لها لا تطور.

ت– الأخلاق الأساسية للمجتمع: وهي بعض ما توفر من معاني كالصدق والوفاء و الأمانة ... وكل تلك الفضائل لا تتطور مهما تطورت الحياة.

ث–الآداب الاجتماعية: وهي تلك التنظيمات العامة للشريعة: كالتسمية في الطعام، وغسل اليدين قبل الأكل وبعده ... فهي مبنية على مبادئ أخلاقية عامة.

ج–النظريات الأساسية للتشريع: لكل تشريع نظريات ومبادئ أساسية إذا حولت كانت تغيير للشريعة لا تطويراً لها ومنها:

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق ، ص 83.

1- نظام الأسرة: وفيه مبادئ لا تتحول مثل الزواج و القوامة لرجل ومشروعية الطلاق...

2 – نظام الإرث: ومبادئه لا تقبل التحويل وتطبق كما نزلت (لذكر حظ الأنثيين، تقييد الوحيد بحدود الثلث...الخ).

3- نظام الجنايات: وفيه مبادئ عامة أساسية (عقوبة السرقة القطع، عقوبة القتل الإعدام ... الخ) وبعضها متروك للقضاء تعزيراً.

4- نظام المال: وهنا وضع الإسلام أسس وقواعد لهذا النظام لا يمكن أن تتطور (تقييد الملكية الفردية، تحريم الربا، تحريم القمار، كما فرض الزكاة ... الخ) .

5-نظام الحكم: ونجد هنا بعض المبادئ العامة والأساسية التي لا تقبل التطور(نظام الشورى العدل...).

6- نظام السلم والحرب: وهي أسس وضعها الإسلام لا يمكنها التطور(الجنوح للسلم، رد العدوان على المعتدي، الوفاء بالعهود والمواثيق..الخ) .

06-ما يتطور في الإسلام [1]:

ويرى الشيخ مصطفى السباعي أن هذا ما يحتاجه الكثير من الناس اليوم، وما تطلبه الحياة وتقدم العلوم ونذكر من أهمها:

أ –الآداب: أغلب العادات والأعراف التي تنشأ من تغير الزمان وتطور الأحوال (كالجلوس على المائدة، والكلام... الخ).

ب-وسائل العبادة: وهي تلك الوسائل التي بها نستطيع القيام بالعبادة (كالتنقل إلى الحج وتنظيم الزكاة ...الخ).

ت-التطبيق العملي للمبادئ الأساسية في التشريع: أسلوب المرونة التي تميز بها التشريع الإسلامي في أغلب مبادئه وأحكامه، ضمن لها التطبيق في مختلف العصور(الأساس في المعاملات التراضي، والأساس في نظام الحكم الشورى... الخ)،

الحاجات الناشئة عن تطور الحياة والحضارة وهي تطور مع الزمان ويقرر الإسلام ضرورة ذلك.

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق ، ص 77.

تنظيم الدولة والمجتمع بما يحقق مصالح الناس وأمنهم وسلامتهم. ليؤكد الشيخ مصطفى السباعي على أن الدين الإسلامي مطبوع بخاصية المرونة والتطور التي ضمنت له البقاء والخلود ويلخص هذه الخاصية في ثلاثة نقاط هامة:[1]

أولا: المرونة في مقاصد التشريع وذكر فيها العدالة:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ ﴾[2]،وعلى هذا فإنه يعطي للدولة الحق في وضع القوانين التي تحفظ هذا العدل وترفع الظلم.

1-المصلحة: والإسلام جاء لتحقيق مصالح الناس وعلى هذا قسم الفقهاء المصالح إلى ثلاث:

أ . ضروريات: وفيها حفظ الدين والعقل والمال والنفس والعرض.

ب . حاجيات: والتي تصون تلك الضروريات (كعقوبة السرقة، تحريم المسكرات...الخ).

ج . التكمليات: وهي التي تراعي مصلحة المجتمع في أخلاقه وآدابه وتقتضيها الآداب العامة.

2-التيسير ورفع الحرج: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾[3]، وعليه سقط الواجب في السفر والمرض بالنسبة للمريض.

ثانيا: المرونة في نصوص التشريع: وهنا نأخذ بعض النصوص التي دلت على ذلك ومنها ما جاء في البيع إذا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[4]، وفي الشورى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[5].وعن لباس المرأة لم يعين له

شكلاً أو لوناً معين وفي هذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[6] .

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق ، ص 89.

2سورة النساء الآية 58 .

3سورة الحج الآية 78 .

4سورة النساء الآية 29.

5سورة الشورى الآية 38 .

6 سورة الأحزاب الآية 59 .

ثالثا:المرونة في مصادر التشريع: وهنا استعرض الشيخ السباعي أغلب مصادر التشريع الأصلية و الفرعية:

أ . القرآن الكريم: جاءت أحكامه مجملة كما وضح سابقاً

ب . السنة النبوية: جاءت بالتفصيل لإحكام القرآن إلا أنها وضعت قواعد عامة فيها الكثير من المرونة مثل قوله ﷺ:" المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً "[1].

ج . القياس: وهو إلحاق الحادثة الطارئة بحادثة أخرى تشابهها في العلة وإعطائها نفس الحكم

د . الاستحسان: وهو العدول من المسالة عن حكم نظائرها إلى حكم لعلة أقوى تنطبق مع أحكام الشريعة.

هـ . العرف: اعتبار عرف الناس في تعاملاتهم ما لم ينص الشرع بإلغائها، وإذا خالف الشرع فإنه يُهمل.

واقع المرونة في الفقه: وفي هذا يسترسل الشيخ السباعي في نتائج هذه المرونة التي تميز الفقه فيقول:" تعدد المذاهب الاجتهادية ووفرة النظريات الفقهية، جعلت الفقه الإسلامي لا مثيل له في غناه بالنظريات التي يمكن الاختيار فيما يوافق منها روح العصر ..".

واقع التطور في الفقه: ومن ثمار المرونة كذلك التطور الحاصل في الفقه الإسلام ي ومن أمثلة ذلك ما قام به الأمام الشافعي من تطوير لمذهبه، وهذا بعد أن طاف في الأمصار الإسلامية واستقر في مصر.

وقائع التطور في الدولة الإسلامية : ونلمس ذلك جلياً من خلال الترتيبات الدولة الإسلامية ونظمها في مختلف العصور(تختلف بين عهد وآخر..).

شبهات في الموضوع:

تناول الشيخ مصطفى السباعي بعض الشبهات التي تعرض لها التشريع الإسلامي عموماً في تعامله مع المجتمع، وقد ذكر بعضها في هذه الرسالة ورد عنها بأسلوب مقنع وحجة بينة، ونستعرض واحدة منها في هذا العنصر:

1أخرجه: أحمد بن حسين البيهقي ت458هـ، السنن الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج6 (ط:03، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، 1424هـ-2003م) باب الشرط في الشركة وغيرها، ص131 .

الفقه لم يتطور كثيراً: يرى بعض الناس أن الأحكام الفقهية متشابها إلى حد ما وأن التغيير فيها لم يكن كبيراً جداً وظلت نظرياته متشابها في أحكامها.

وهنا يجيب الشيخ السباعي عن هذه الشبهة بقوله :" أن الحياة الاجتماعية في العصور الماضية لم تتطور تطوراً أساسياً كما في عصرنا الحاضر، فالتطور كان بطيئاً، بحيث كانت الحياة الاجتماعية تتشابه غالباً في مختلف العصور، ومع ذلك فلا ننكر جمود العقلية الفقهية في العصور الإسلامية الأخيرة عن مسايرة التطور، وذلك في رأينا ناشئ من إقفال باب الاجتهاد، ومن طبيعة الحياة التي كان يعيش فيها الفقهاء"1.

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 85 .

المبحث الثالث: الأبعاد السياسية

لقد أشرنا فيما سبق إلى ما تميز به الشيخ مصطفى السباعي من رؤيته الثاقبة للأحداث في بلاده والعالم الإسلامي عموماً، فكان مواكباً لما يتعرض إليه من مؤامرات ومكايد من طرف أعدائها فينطلق مدافعاً بكل ما آتاه الله من بديهة وعلم، شارحاً ومبيناً تلك الشبهات والافتراءات لعامة الناس كلما سنحت له الفرصة في ذلك، ولعل من أكثر الجوانب التي كان يتعرض لها هو الجانب السياسي لما له من تأثير واضح على الشعب في تلك الحقبة، وهنا يظهر دور الداعية الملم بواقعه وعصره، وفي هذا المبحث نستعرض رسالتين هامتين في هذا السياق، فالأولى كانت بعنوان" الدين والدولة في الإسلام" أما الثانية فكانت"بعنوان نظام السلم والحرب في الإسلام"، وقد امتازت بجودة الترتيب وقوة التعليل وسلامة الأسلوب.

المطلب الأول: الدين و الدولة في الإسلام .

يشير الشيخ مصطفى السباعي في بداية هذه الرسالة إلى بيان بعض آراء القائلين بفصل الدين عن الدولة، ليقدم لنا بعدها مناقشة شاملة حول هذه الأدلة من خلال تعريف كل من الدولة والدين واستعراض أهم المبادئ التي ميزت الديانات الثلاثة (اليهودية، المسيحية، الإسلام) في هذا الموضوع لينتقل بعدها إلى مقارنة بين الإسلام والمسيحية والتاريخ الأوروبي والتاريخ الإسلامي، وننقل هنا بعضا من هذه المقارنات :

01- أن المناداة بفصل الدين عن الدولة في تاريخ المسيحية، عود بها إلى وضعها الأول الصحيح، وأن انحرافها عن هذا المبدأ، جرَّ عليها وعلى شعوبها البلاء و الشقاء.

أما في الإسلام، فإن المناداة بفصل الدين عن الدولة انحراف به عن وضعه الصحيح، وأن وقوع هذا الفصل في بعض مراحل التاريخ – الطور الثالث – جرّ على الإسلام وعلى المسلمين البلاء والشقاء .[1]

02- إن فصل الدين عن الدولة في تاريخ أوربا، كان في عصر نهضتها الكبرى، ولقد سارت من بعده حرة طليقة، تسيطر على شؤون العالم وتتحكم في مصائره .

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص234 .

أما في الإسلام، فإن أزهى عصور حضارته، وأحفلها بالقوة والمجد، وأجداها على الإنسانية، هي العصور التي قامت فيها دولته على مبادئ الشريعة، وما حدث الجفاء بين الدين والدولة إلا في عصور الضعف والجمود و الفوضى .[1]

03- أن ربط الدولة بالدين في أوربا، أدى إلى اضطهاد الفكر، وخنق الحريات، وقيام الحروب الدينية المفجعة، وخضوع الناس لكابوس الخرافة والجهالة والبؤس.

أما ربط الدولة بالدين في عصور الإسلام الزاهرة، فقد أدت إلى انطلاق الفكر، وحماية الحريات الدينية، وإشاعة الرغد والسلام بين أبناء الديانات، وتحرير الناس من أوهام الخرافات والشعوذة وتحقيق الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية بين أبناء الشعوب.[2]

كما تحدث الشيخ مصطفى السباعي عن مفهوم رجال الدين في الإسلام، حيث أنكر هذا المصطلح أو ما شابه في الإسلام، لان هذا الأمر لم يكن موجود في زمن النبي ﷺ، لينتقل بعدها إلى السبب وراء اصطدام الفقهاء مع رجال الدولة في كثيراً من الأزمنة، والذي كان بدافع ما أمره الله بهم من نهياً عن المنكر وأمراً بالمعروف، وفي هذا يذكر الشيخ مصطفى السباعي بعض النماذج في التاريخ الإسلامي عن ذلك "..ليبرهن على أن الفقيه إن تدخل في عمل رجال الدولة، فإنما يفعل ذلك ليصون دماء الشعب وحرماته وعقائده وأمواله.. وشتان بين تدخل هذه ثمرته الإنسانية النبيلة، وبين تدخل يسلب الناس أموالهم وكرامتهم، ويقدمهم إلى محاكم التفتيش ليذوقوا العذاب ألواناً وأشكالاً ".[3]

ليناقش بعد ذالك، بعض آراء من يدعون فصل الدين عن الدولة في مجتمعه، وفي هذا يرى أنه من غير المعقول إلغاء الدين عن أمور الحكم والدولة، وهذا لا يحدث حتى في البلاد الغربية فما بالك الإسلام؟،كما تطرق إلى حق أي فرد في الدولة مهم كانت وظيفته أن يشتغل بأمور السياسة، فما بال رجال الدين عند دخولهم إلى بعض المجالس النيابية حين يُرى أنهم الأكفاء لهذه المناصب، وهذا لما يتمتع به هؤلاء من ميزات وأخلاق تجعلهم متميزين عن غيرهم في تطبيق شرع الله وأكثر خوفاً منه فيما نجد بعض قوانين الأنظمة الوضعية لا تنفذ عند بعض فئات المجتمع، وكثيراً ما يتهرب منها

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 235.

2المرجع نفسه .

3 المرجع نفسه، ص243 .

أصحاب المعارف والحيل، فيرى الشيخ أن هذه الأنظمة من الأفضل تكون على قاعدة دينية، يخشى فيها الله لا العباد، وإن قلنا بفصل الدين عن الدولة نكون قد نزعنا منها أقوى أسلحتها وأكثرها .[1]

وفي الأخير أشار الشيخ مصطفى السباعي إلى بعض الآراء التي وقفت على استحقاق هذا الدين الولوج لجميع مناحي الحياة المختلفة، وهنا نذكر مثال واحداً للمؤرخ. ج. هـ.ولز فيقول:"لا يزال للإسلام حتى يومنا هذا فقهاء ومعلمون ووعاظ، ولكن ليس له كهنة ولا قساوسة"، وفي هذا يعلق الشيخ فيقول: وقد كان هذا أبلغ جواب لمن يدعو بيننا لإقصاء رجال الدين عن الحياة السياسية.[2]

ليبقى الإسلام دين الشمول لكل مناحي الحياة، فهو لا يفصل بين الدين و الدولة بل يعتبر أن الدولة بدون دين كالجسد بدون روح، فهو الذي ينظم ويساير تعاملات الناس فيما بينهم كما يحرص على شؤون المجتمع كاملة .

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 244.

2 المرجع نفسه، ص 252.

المطلب الثاني: نظام السلم و الحرب في الإسلام

في هذه الرسالة يتحدث الشيخ مصطفى السباعي عن كثير من الأمور التي جاء بها الإسلام في حديثه عن السلم والحرب، وقارنها بالديانات الأخرى، وأول ما تحدث به هو موقف الديانة المسيحية من السلم والحرب، وهذا من خلال إدراج أدلة من الإنجيل التي تدعو إلى إفشاء السلام بين أبناء الله في الأرض ومحاربة الظلم والعنف، ودعا إلى محاربة من يقف في طريق السلم ومحاربته، ليجول بنا بعدها فيما قرره الإسلام من مواقف اتجاه الموضوع، أين يرى أن اسمه مشتق من السلم، إضافة إلى الشعارات والعبارات التي تحكم علاقة المسلمين، فنجد أن كلها مبنية على السلم والأمان كما جاءت بعض الآيات دالة على بعض مبادئ السلام في الإسلام:[1]

وهنا يذكر الشيخ مصطفى السباعي مجموعة من المبادئ التي أقرها الإسلام ومنها:

01- أخوة الناس مهم اختلفوا حيث: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[2]

02- الحب و التعاون وبذل الخير للناس جميعاً هو أساس الإيمان قال ﷺ:" الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إليه أنفعهم لعياله"[3].

03- الصفح و التسامح في حقوق الناس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾[4]

يرى الشيخ مصطفى السباعي أن الدعوة إلى السلام لا بد من تهيئتها من الداخل أولاً، وهذا بتربية الفرد والجماعات من خلال تطبيق الشرع الإسلامي، وقد انطلق الشيخ من نظامين أساسيين:

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 15.

2سورة النساء الآية 01 .

3أخرجه: سليمان بن أحمد الطبراني ت360هـ؛ المعجم الكبير؛ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ج10(ط:02، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ت)،ص86.

4سورة فصلت الآية 34 .

نظام السلم و الحرب : والذي يرى أن مبدأه هو إصلاح الفرد والذي يراد منها قيامة نظام الأسرة المسلمة على أساس من المحبة والألفة، ليشكل لنا مجتمعا صالحا مبنياً على علم راسخ يملأ العقول ليكون شاهداً على قيامة حكومة رشيدة تحرس مبادئ الشعب وقيمه وعاداته؛ ولعل مراعاة الإسلام لكل هذه الأشياء هو وقاية للمجتمع من عوامل الحروب والفتن التي قد تنخر جسم الدولة، وفي هذا يقول الشيخ مصطفى السباعي:" السلم الذي أقامه الإسلام سلم وقائي، يقي المجتمع من عوامل الحروب والفتن قبل أن تقع، بحيث لا يترك للفتنة كوة تنفذ منها إلى كيان الأمة فتثير أعصابها للشر وتعرّض أمنها واستقرارها وأرضها للدمار، ثم هو سلم إيجابي، لا يكتفي بأن يمنع وسائل الاستقرار والحب، حتى يجد الناس طعم السلام طعماً سائغاً لذة لشاربين"[1] .

نظام السلم الخارجي : وهي المبادئ الكبرى التي وضعها الإسلام في هذا النظام، وهي تلك التي تحكم علاقتنا مع الدول الأخرى بصورة يسودها السلم والأمان .[2]

الحرب تأمين للسلام الداخلي: تأتي معظم الآيات في القرآن الكريم، دالة على أن الحرب التي قامت بها الدولة الإسلامية، جاءت من أجل الحفاظ على السلم ونشر الأمان بين جميع أبناء الإنسانية .[3]

نظام الحرب في الإسلام : يتحدث الشيخ مصطفى السباعي في هذه النقطة، عن الظروف التي أدت لظهور هذه الحروب بين المسلمين وغيرهم، والتي لم تكن كغيرها من حروب الجاهلية التي سبقتها، فقد وضع لها مجموعة من المواثيق والأسس التي تكفل سلامة من لا دخل لهم فيها والحفاظ عليهم، كما كانت لها مبادئ في تعاملها مع الرقيق والأسرى.[4]

الكلام عن الجزية: تحدث الشيخ مصطفى السباعي على هذا الموضوع بإسهاب شديد مبيناً نظامها ومعاملاتها، وفي نفس الوقت مدافعاً عن بعض الشبهات التي دارت حولها، ليوضح في الأخير إلى الإشارة إلى أنها نظام قد يزول مع تطور العلاقات بين أفراد المجتمع.

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 23 .

2المرجع نفسه، ص 24-25 .

3المرجع نفسه، ص 26-28.

4المرجع نفسه، ص 33-38.

واقع الحروب في التاريخ الإسلامي: لعل أروع ما كتب في دفاعه عن تلك الحروب الإسلامي هو ما ذكره في هذه النقطة الأخيرة من رسالته فيقول:

01- أنها كانت حروب دفاعية لرد عدوان أو دفع أذى، وفي هذا يستعرض ما تعرض له النبي ﷺ من أذى وتعذيب، وما عقبت وفاته من ردة في زمن الصحابة، وما تعرضت له الدولة الإسلامية من تآمر من طرف الدول المجاورة.[1]

02- كانت حروبا تحررية تهدف إلى تحرير الشعوب من رقتها وعبوديتها، وفي هذا يبرز لنا شواهد كثيرة في الإسلام، كاعتراض أحد الصحابة يوماً للخليفة عمر بن الخطاب بمقولة المتحرر الذي لا يخاف إلا الله بقوله:" والله لو رأينك فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا"، وقصة مبدأ الحرية الذي فرضه سيدنا عمر في تعامله مع ذلك القبطي الذي اقتص له من والد أمير مصر في ذلك الوقت عمرو بن العاص فيقول:" متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟".[2]

03- أخلاقية هذه الحروب وما تميزت به من مبادئ، وفيها يذكر قصة دخول جيش المسلمين إلى سمرقند في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز .[3]

1مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ص 52.

2 المرجع نفسه ، ص53.

3المرجع نفسه، ص 56.

04- كانت حروبا إنسانية تشمل جميع شعوب العالم مهما اختلفت ديانتهم ومذاهبهم .

ليذكر في الأخير أبناء هذه الدعوة، والإنسانية جمعاء، بالأخذ من مدرسة الإسلام دروس الحرب والسلم إذا أرادت أن يكون لها قادة الصلاح والسلام في العالم كله، وفي هذا ينقل مقولة برنارد شو[1] في حديثه عن النبي محمد صل الله عليه وسلم فيقول:"إن محمداً يجب أن يدعي منقذ الإنسانية ولو أن رجلاً مثله تولى قيادة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة اللذين هو في أشد الحاجة إليهما".

1جورج برنارد (1856م -1950م). كاتب مسرحي أيرلندي المولد، وناقد، وكاتب. يعد من أشهر الشخصيات الأدبية في أوائل القرن العشرين وأهمها. نال جائزة نوبل للأدب عام 1925م. لم يرُقْ لشو المسرح الفكتوري الرومانسي، والعاطفي في أواخر القرن التاسع عشر، ويرجع هذا لتأثره الشديد بالدراما الاجتماعية الثورية للكاتب المسرحي النرويجي هنريك إبسن، ورأى شو المسرح منبرًا لتدعيم الإصلاح الاجتماعي. كتب خلال حياته العملية، أكثر من 50 مسرحية، أنظر: الموسوعة العربية العالمية، ص01 .

خـــاتمة

خاتمة

أما وقد وصل بحثي إلى محطته الأخيرة، وهو الذي بدأ بأسئلة كبرى كانت وقود مسيرته ، والتي شكلت هاجسا عندي في بدايته مما اضطرني إلى مرافقة الشيخ مصطفى السباعي في كثير من محطات حياته لتعرف عليه وما قدمه في سبيل الإسلام وخدمة لدعوته، وشيئاً فشيئاً بدأت تنجلي تلك الهواجس واتضحت لي معالم الطريق، ليأخذ البحث مجراه المقدر له في الإعداد والتحضير والتنقيب ليصل إلى ما كنت آمل إليه من أهداف حول البعد الدعوي في مسيرة الشيخ مصطفى السباعي.

لقد بينت في مقدمة هذا البحث أن الهدف الرئيسي منه هو إماطة اللثام عن واحدة من التجارب الدعوية والفكرية التي لاقت صداها في الساحة الإسلامية و العالمية، من خلال ما قدمته من أعمال جليلة في ميدان الدعوة، فانطلقت في إبراز جزء منها من خلال دراسة البعد الدعوي الذي تميزت به دعوة الشيخ مصطفى السباعي في كتابه "هذا هو الإسلام"؛ ومن المؤكد أن ما قمنا به من بحث متواضع، لم يجد ضالته لنستوفي مسيرة هذه الشخصية الدعوية الثائرة وما قدمته من أعمال للأمة، إلا انه وجب علينا أن نقف عند حوصلة لأهم ما توصلنا إليه في هذه الدراسة:

01- الشيخ مصطفى السباعي شخصية دعوية تمثل تلك النخبة التي ساهمت في تأسيس جماعة الإخوان المسلمين في بلاد الشام، فبعثت في حركة الدعوة روحاً جديدة وفق منهاج محدد وقواعد واضحة المعالم ذات أهداف بارزة .

02- كل فكر عاش بواقع معين يتأثر ويوثر بذلك الواقع، ومن خلال دراستنا للواقع و الطبيعة التي عاش فيها الشيخ مصطفى السباعي وما تميزت به من ظهور أفكار غربية كثيرة تظهر لنا الأعمال والجهود الجليلة التي قام بها رجالات الحركة الإسلامية في تلك الفترة .

03- إن التردي الذي هوت به الأمة وانحسار دورها الحضاري أمام تنامي قوة الحضارات والأمم الأخرى في مختلف المجالات، فرضت على الداعية أن يكون ملماً بجوانب الحياة المختلفة من سياسة واقتصاد ومجتمعات ودين ... الخ، وهذا ما وقفنا عليه في دراستنا لأبعاد دعوة الشيخ مصطفى السباعي في كتاب "هذا هو الإسلام ".

04- لعل من مميزات الداعية الناجح، أن يكون لديه أسلوب جدلي حسن يمكنه من غلبة خصومه ودحض حججهم، من خلال البراهين والدلائل التي يقدمها ويستعرضها في طريق دعوته وقد لاحظنا ذلك في كثيراً من مواقف الشيخ في تعرضه لبعض الأفكار الدخيلة .

05- الرؤى الفكرية التي سعى الشيخ السباعي صياغتها من خلال العملية الدعوية التي خاضها في توضيح فكرة الإسلام الجديد وجدت سبيلها إلى الواقع الذي عايشه وهذا لأنها انطلقت من برنامج متكامل وبأسلوب علمياً وتربوياً جيد.

06- من خلال هذه الدراسة كانت لنا نظرة حول ما يجب أن يتميز به الداعية الجيد من علم ومعرفة، تمكنه من التصدي لبعض الشبهات و الافتراءات التي تقف في طريق دعوته و أن يعرف ما تحمل الأديان الأخرى من أفكار ومبادئ تساعده في مقارنة ما يحمله الإسلام من أفكار وما تحمله التيارات والأفكار الأخرى في مختلف المجالات.

07- لقد وقفنا على محطات حياة الشيخ مصطفى السباعي، لنجد تلك الشخصية الدعوية المتميزة والتي لا نراها إلا نادراً في تاريخ الحركات الإسلامية، فمنذ صغره ظهر عليه ذكاء ونباهة الولد النابغة، لنجده طالباً مجتهداً مثابر في أروقة الجامعة، والمجاهد المكافح في ميدان القتال، والسياسي البارع المفوه في مقاعد البرلمان، والخطيب الداعية الواعظ في المساجد والمعلم الأستاذ المتمكن في المعاهد والجامعات .

08 – الدعوة الإسلامية عمل متكامل لا ينفصل في ماهيته بين ما هو نظري وبين ماهو عملي، وحياة الإسلام لا تقوم في الأصل إلا على العيش للإسلام والعمل له والدعوة إليه بكل الوسائل المشروعة، والتي تدرج في تطبيقها على مختلف شرائح المجتمع، وهذا ما تميز دعوة الإخوان في مختلف المجالات، ونرى هذا بارز في رسائل الشيخ مصطفى السباعي لمختلف الأبعاد التي تطرق إليها والتي نرى أن أغلب المشاكل التي عالجها مازالت قائمة كما هي اليوم والناس محتاجون إلى كلامه وأفكاره .

09- إن ما توصلنا إليه من نتائج في هذه الدراسة لتوضيح التجارب والخبرات التي خاضها في كتابه "هذا هو الإسلام"، والتي ظهر فيها من التواضع والإيجاز الكثير وهذا مقارنة بالأفكار الدعوية والأعمال الجليلة التي وجدناها فيها، وعليه أرجوا أن تنال حقها في البحث والدراسة بصورة جزئية لكل رسالة على حدى.

وفي الأخير أرجوا أن أكون قد وفقت في ما تمنيت الوصول إليه من أهداف ونتائج من خلال هذه الدراسة المتواضعة، وأن أكون قد أسهبت ولو بشيء القليل بالتعريف بشخصية الشيخ مصطفى السباعي و أبعاد دعوته التي تطرقنا إليها من خلال كتابه هذا هو الإسلام، فإن أصبت فذاك فضل من الله تعالى وحده، وإن ظهر فيها شيئاً من خطى أو زلل أو نقصان فهو تقصيراً مني واستغفر الله منه، والله المستعان وهو ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر والمراجع

01 ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، لسان العرب. ج03 (ط:03، بيروت: دار صادر، 1414هـ)

02 أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية (ط:12؛ دمشق: دار ابن كثير؛ 1425هـ)

03 أبو الحسن الندوي،إلى الإسلام من جديد(ط: 04، دمشق: دار القلم للنشر و التوزيع، 1399هـ - 1979م)

04 أحمد أحمد غلوش؛ الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها (ط: 02؛ القاهرة: دار الكتاب المصرية- بيروت: دار الكتاب اللبنانية، 1407هـ- 1987م)

05 أحمد مختار عبد الحميد عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 01 (ط:01 ، لا. م، عالم الكتب ، 1429هـ- 2003م)

06 أعضاء ملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في ترجمة العلماء وطلبة العلم المعاصرين،ج:01.

07 أيوب بن موسى الحسين القريمي الكفوري، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (لا.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، لا.ت)

08 البيانوني: محمد أبو الفتوح البيانوني؛ المدخل إلى علم الدعوة (ط: 03؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، 1415هـ -1995م)

09 السباعي: مصطفى السباعي، عظماؤنا في التاريخ.(ط: 03، القاهر: دار السلام للطباعة و النشر والتوزيع والترجمة، 1423هـ - 203م)

10 السباعي: مصطفى السباعي، هذا هو الإسلام (لا.ط ؛بيروت لبنان: دار ابن حزم،1430هأ-2010)،

11 عبد الحليم محمود؛ فقه الدعوة إلى الله . ج 01(ط: 02؛ المنصورة: دار الوفاء للطباعة و النشر والتوزيع؛1411هـ - 1990م).

12 عبد الكريم بكار؛ مقدمات النهوض بالعمل الدعوي (ط: 02؛ دمشق : دار القلم؛ د.ت)

13 عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة(ط:03، لا.م، لا.ن، 1396هـ-1976م).

14 عبد الله العقيل، من أعلام الدعوة و الحركة الإسلامية. ج 01(ط:08؛ لا.م: دار البشير؛ 1429هـ-2008م).

15 عدنان محمد زرزور، مصطفى السباعي الداعية المجدد،(ط: 01، دمشق: دار القلم، 1421هـ - 2000م)

16 الفاربي: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، صحاح الجوهري، ج 01 (لا:ط ، لا.ن، د.ت)

17 مالك بن الحاج، وجهة العالم الإسلامي (ط: 01؛ بيروت لبنان: دار الفكر المعاصر / دمشق سوريا: دار الفكر، 1431هـ -2002م)

18 مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، ج01 (لا: ط ، القاهرة : دار الدعوة ، د.ت)

19 محمد المجذوب، علماء ومفكرون عرفتهم، ج 01(ط:01، القاهرة: دار الشواف، 1992م)

20 محمد بن قطب بن إبراهيم؛ منهج التربية الإسلامية (ط: 16؛ لا.م: دار الشروق؛د.ت)

21 محمد شيت خطاب، الرسول القائد(ط: 06؛ بيروت: دار الفكر؛ 1922م)

24 محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ج 11(ط01، بيروت- دمشق –عمان : المكتب الإسلامي، 1416هـ- 1996م)

22 نشوان بن سعيد الحميري اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. ج 01 (ط:01، بيروت لبنان: دار الفكر المعاصر، 1420هـ- 1999م) .

23 يحي بن سلام، تفسير يحي بن سلام، ج 02(ط: 01، لبنان بيروت: دار الكتب العلمية، 1425هـ- 2004م

الفهارس:

فهرس الآيات القرآنية

الآية أو شطرها- السورة ورقمها	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة {2}		
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ ...﴾	170	47
﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾	284	59
سورة آل عمران {3}		
﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ..﴿٣٨﴾﴾	14	07
سورة النساء {4}		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ..﴾	01	72
﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ...﴾	29	66
﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ ..﴾	58	66
سورة الأعراف {7}		
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ...﴾	59	47
سورة هود {11}		
﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾	95	09
سورة الرعد {13}		
﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ...﴾	14	08/07
سورة النحل {16}		
﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ...﴾	08	63
﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾	125	06

سورة الحج {22}		
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ...﴾	78	66
سورة الروم {30}		
﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ...﴾	30	47
سورة لقمان {31}		
﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ...﴾	20	59
سورة الأحزاب {33}		
﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ..﴾	04	06
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ...﴾	59	66
سورة يس {36}		
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ...﴾	71	59
سورة الصافات {37}		
﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ...﴾	35	47
سورة فصلت {41}		
﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ...﴾	35	72
سورة الشورى {42}		
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ...﴾	38	66
سورة الذاريات {51}		
﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ....﴾	21	64/47
سورة المعارج {70}		
﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾	25	60

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	رقم الصفحة
إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث...	06
مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ عِلْمٍ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ...	26
الكلمة الحكمة ضالة المؤمن...	55/49
تعلموا القرآن وعلِّموه الناس وتعلموا الفرائض...	58
نعم المال الصالح للرجل الصالح.	59/47
عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ...	59
المسلمون عند شروطهم ...	66
الخلق كلهم عيال الله ...	71
تعلموا الفرئض وعلموها الناس	58

فهرس الأثر

طرف الأثـر	الراوي	رقم الصفحة
لا تجبروا أولادكم على أخلاقكم	عمر بن الخطاب	63
متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أحراراً	عمر بن الخطاب	73
أيها الملك! كنّا قوما أهل جاهلية	جعفر ابن أبى طالب	45

فهرس الأعلام

الاسـم	رقم الصفحة
أبو الحسن الندوي	42
أمان الله خان	20
برنارد شو	73
البهي بن نجا بن إبراهيم الخولي	08
حسنى ابن الشيخ رضا بن محمد بن يوسف الزعيم	29
الحسين بن علي	15
محب الدين الخطيب	20
محمد الغزالي السقا	07
محمد بن عبده بن حسن خير الله	38
محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار	21
محمد عبد الله أبو الفتح البيانوني	08
يوسف القرضاوي	41

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
إهداء	
شكر وتقدير	
المقدمة	أ
الفصل التمهيدي	01
إشكالية الموضوع	01
أهمية الموضوع	02
أسباب اختيار الموضوع	02
أهداف البحث	03
الدراسات السابقة	03
المنهج المعتمد في الدراسة	04
صعوبات البحث	05
مدخل مفاهيمي للمصطلحات	05
الفصل الأول: السباعي مسيرته الذاتية وجهوده الدعوية	14
المبحث الأول : سيرته الذاتية	14
المطلب الأول: عصر وبئيته	**14**
المطلب الثاني: مولده ونشأته	**18**

المطلب الثالث: مسيرته التعليمية	**19**
المبحث الثاني: جهوده الدعوية	**22**
المطلب الأول: تأسيس حركة الإخوان المسلمون في بلاد الشام	**22**
المطلب الثاني: نشاطاته الدعوية و العلمية	**24**
المطلب الثالث: مواقفه	**33**
المبحث الثالث: آثاره وفاته وأهم ما قيل فيه	**37**
المطلب الأول: مؤلفاته	**37**
المطلب الثاني: وفاته	**39**
المطلب الثالث: أهم ما قيل فيه	**41**
الفصل الثاني: أبعاد دعوة مصطفى السباعي من خلال مؤلفه " هذا هو الإسلام"	**44**
المبحث الأول: الأبعاد الفكرية و التربوية	**44**
المطلب الأول: منهجه في الإصلاح	**44**
المطلب الثاني: واقعية الإسلام	**51**
المبحث الثاني: الأبعاد التشريعية	**57**
المطلب الأول: نظام الإرث ومشروعيته	**57**
المطلب الثاني: المرونة والتطور في التشريع الإسلامي	**62**
المبحث الثالث: الأبعاد السياسية	**69**
المطلب الأول: الدين و الدولة في الإسلام	**69**
المطلب الثاني: نظام السلم و الحرب في الإسلام	**72**
الخاتمة	**77**

الفهارس:	
فهرس المصادر و المراجع	81
فهرس الآيات القرآنية	84
فهرس الأحاديث	86
فهرس الآثار	87
فهر الأعلام	88
فهرس الموضوعات	89